جوانب من تاريخ الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ

المدافن الخليجية ومدلولاتها الحضارية

رضا الهاشمي

استاذ مساعد

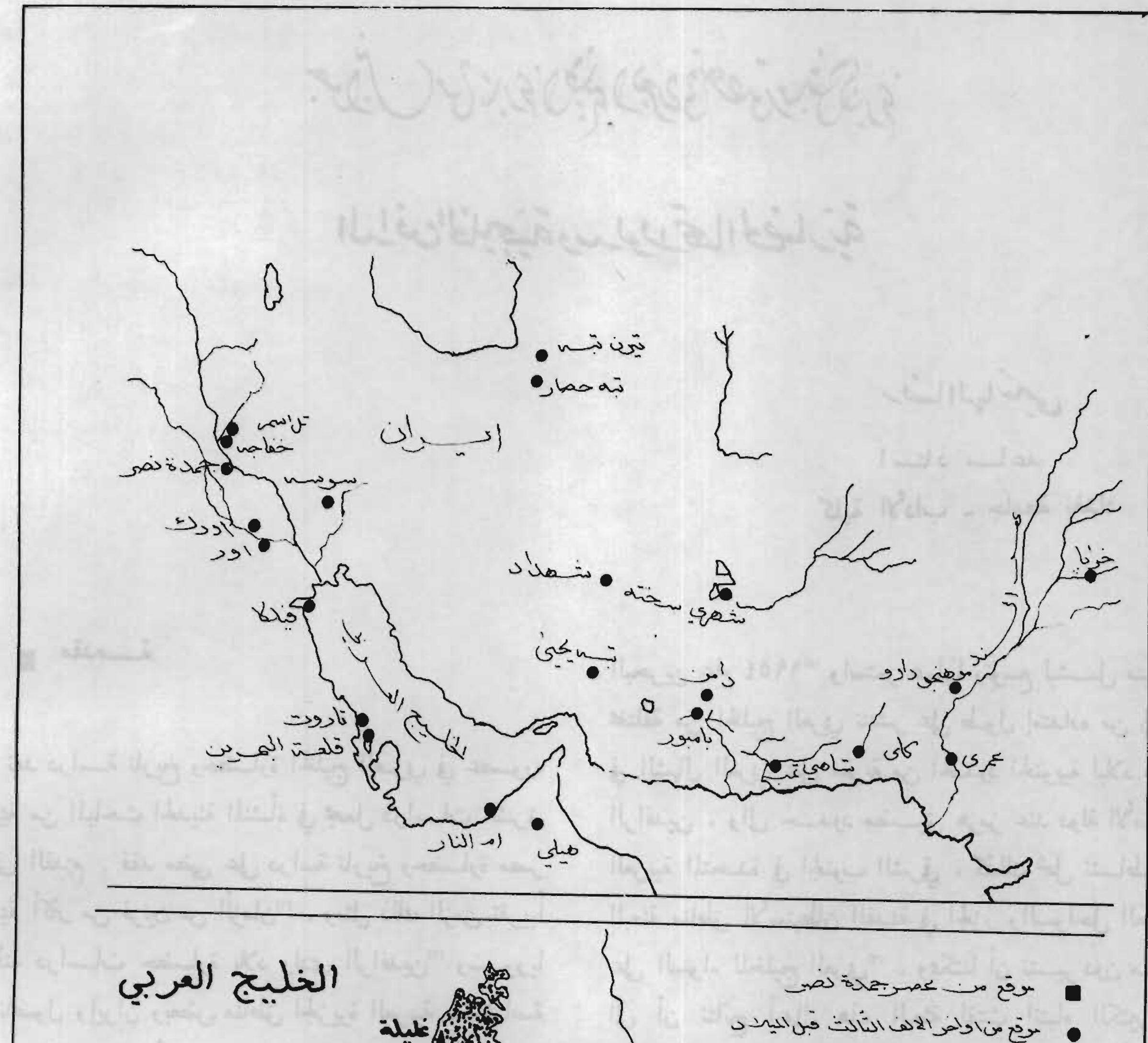
كلية الآداب - جامعة بغداد

مقدمة

تعد دراسة تاريخ وحضارة الخليج العربي في عصوره القديمة من المباحث الحديثة المنشأة في مجمل دراسات الشرق الأدنىٰ القديم . فقد مضى على دراسة تاريخ وحضارة مصر القديمة أكثر من قرنين من الزمان[١] ، ومثل ذلك الزمن تقريباً تخطته دراسات حضارة بلاد وادي الرافدين[٢] وسوريا والأناضول وإيران وبعض مناطق الجزيرة العربية ، وبخاصة العربية الجنوبية[٣] وأنجزت خلال تلك الفترة دراسات مستفيضة أعتمدت المخلفات المادية من كتابات قديمة وأبنية ومواد بيتية ومنحوتات وتماثيل وغيرها من اللقىٰ الأثرية ، وشملت هذه الدراسات مختلف نشاطات سكان المراكز الحضارية القديمة ، السياسية والأقتصادية والأجتماعية والفكرية وغير ذلك من جوانب الحياة الأنسانية .

وفي الوقت الذي تكشفت فيه جوانب واسعة من التاريخ والحضارة لمعظم مراكز حضارات الشرق الأدنى القديم ، كان الغموض التام يحيط بمعلومتنا عن مناطق واسعة من جزيرة العرب ، ومنها بشكل خاص ، الخليج العربي[٤] . ولا نكون مبالغين إذا قلنا أن الدراسات العلمية الحقيقية في الخليج العربي بدأت مع مطلع الخمسينات من هذا القرن ، وذلك عندما بدأت بعثة آثار دانمركية العمل في البحرين عام ١٩٥٤[٥] واستمر عملها وتوسع ليشمل مناطق مختلفة من الخليج العربي تنتشر على طول إمتداده من رأسه في الشمال الغربي على مقربة من الحدود الجنوبية لبلاد وادي الرافدين ، والى حدود مضيق هرمز عند دولة الأمارات العربية المتحدة في الجنوب الشرقي ، كذلك شمل نشاط هذه البعثة مناطق الأستيطان القديمة في الجزر والسواحل العربية على السواء للخليج العربي[٦] . ويمكننا أن نشير دون مبالغة الى أن نتائج أعمال هذه البعثة لفتت انتباه الكثير من المؤسسات والمعاهد العلمية والجامعات للتفكير أو البدء بالأعمال الحقلية في بعض مناطق الخليج . وهكذا توالت في السنوات الأخيرة بعثات أمريكية وفرنسيه وأنكليزية . كذلك أخذت بعض الأقطار العربية من خلال مؤسساتها الآثارية ، تساهم بشكل فعّال ، فنشط الآثاريون العراقيون والسوريون بالأضافة الى خبرات دول الخليج العربي الوطنية في المشاركة بأماطة اللثام عن مزيد من إحداث التاريخ والحضارة لهذا القسم الهام من الجزيرة العربية[٧]

إن النتائج التي توصلت اليها جهود مختلف البعثات التنقيبية خلال ربع القرن الأخير ، تسمح لنا اليوم برسم صورة شبه واضحة عن بعض الجوانب التاريخية والحضارية للخليج العربي ، وبخاصة في حركته الحضارية وصلاته الرئيسية ، حيث نتبين منها عمق صلاته بحضارة بلاد وادي



تبون تبه
تبه حصار
ايـران
تل اسمر
خفاجه
جمدة نصر
سوسه
اورك
اور
شهداد
شهري سخته
فيلكا
تبه يحيى
دامن
بامبور
موهنجو دارو
خوبا
تاروت
قلعة البحرين
الخليج العربي
ام النار
هيلي
شاهي تمب
كاى
عمري
الخليج العربي
خليج عمان
غليلة
راس الخيمة
الشارقة
القصيص
دبي
ابو ظبي
ام النار
جرن بنت سعود
العين
جبل حفيت
صحار
مسقط
بات
عبري
أملح
بهلا
نزوى
سمد
ابرا
موقع من عصر جمدة نصر
موقع من اواخر الالف الثالث قبل الميلاد
موقع من العصر الحديدي
مدينة حديثة
100 50 0
كيلو متر

الرافدين التي تحتل مركز الصدارة في هذا الجانب . كذلك نحاول أن نوضح من خلال هذه الصورة ، الجوانب التي أشارت اليها الكتابات المسمارية غالباً ، لنجد لها اليوم صدى في المخلفات المادية التي تكشف عنها أعمال الحفريات في الخليج العربي .

سبق لنا أن استعرضنا في بحث سابق(٨) الصورة التي تعكسها الكتابات المسمارية وغيرها من مصادر كتابية قديمة عن الخليج العربي ، وسنحاول إبتداءاً من هذا البحث أستعراض جوانب من نشاطات سكانه الحضارية وفي صلاتهم بمراكز الحضارات القديمة . وقد وقع اختيارنا على المدافن للأسباب التالية :

١ ـ كانت الأعداد الهائلة من المدافن في البحرين (يبلغ عددها زهاء مائة ألف قبر) أول ما لفت الانتباه في التوجه لدراسة تاريخ الخليج العربي القديم ، وهكذا أستهدفتها أولى الأعمال التنقيبية في الخليج العربي .

٢ ـ لكون المدافن ترتبط بالفكر والمعتقدات الدينية ، لذلك نأمل أن نوضح من خلالها صورة المعتقدات الدينية القديمة في الخليج العربي .

٣ ـ تكون المقابر عادة غنية بموادها الأثرية ، وتكون ، في حالة سلامتها من التخريب وأعمال السرقة خير عون للأثاريين في دراساتهم العلمية ، كدراسة الجوانب التقنية والفنية والصلات الحضارية .

٤ ـ ولأن المقابر تمثل جانباً معمارياً ، فهي تقدم صورة جيدة للقدرات العلمية والتقنية في أساليب البناء ، مع معرفة المواد واسلوب العمل ، كما ترسم لنا هذه المقاييس صورة واضحة للمقارنة الحضارية . فلهذه الأسباب مجتمعة بدأنا في عرض تاريخ الخليج العربي بالمدافن .

تنتشر في معظم مناطق الخليج العربي مجموعات كبيرة من المدافن الحجرية ذات التخطيط الخاص والعمارة المتميزة . وتجتمع بعضها باعداد هائلة في منطقة معينة بحيث تشكل ظاهرة أرضية أو بنائية تميز تلك المنطقة . وتبدأ هذه القبور في توزعها على مناطق الخليج العربي من جزيرة فيلكة شمالاً مروراً بجزر البحرين فشبه جزيرة قطر والى عمان في اقصى إمتداد الخليج العربي الجنوبية . ومثلما تصادفنا هذه القبور في جزر الخليج العربي ، نجدها في أقسام مختلفة من الأرض العربية المتاخمة لساحل الخليج ، من حدود الكويت شمالاً فمنطقتي الأحساء والقطيف (الهفوف) في المملكة العربية السعودية والى منطقة العين وواحة البريمي وحتى سفوح جبل حفيت الذي يمثل الحد الفاصل بين الأمارات العربية المتحدة وسلطنة مسقط وعمان .

كانت الأعداد الهائلة لبعض مجموعات هذه المدافن هي التي لفتت نظر وانتباه الضباط العسكريين من أمراء البحرية البريطانية الذين كانوا يعملون على تثبيت مصالح حكوماتهم في المياه الستراتيجية للخليج العربي . لذلك رصدت عيونهم كل ظاهرة مميزة في مناطق الخليج العربي ، على أرضه أو في طبيعة سكانه .

ولهذا السبب وصلتنا أولى الاشارات الى مدافن الخليج العربي ، وبخاصة مدافن البحرين منها ، من قبل هؤلاء الضباط البحريين البريطانيين ، كما أن جانباً من بدايات دراسة آثار وتاريخ الخليج العربي يرتبط باسمهم . ولا أدلّ على ذلك من الكتاب الواسع الأنتشار الذي وضعه أميرال البحرية البريطانية في البصرة A.Wilson تحت عنوان «الخليج العربي(٩)» حيث نجد في فصول هذا الكتاب دراسة تاريخية مفصلة للخليج العربي منذ أقدم عصوره وحتى فترات قريبة من تاريخه الحديث ، ولا يزال هذا الكتاب الذي وضعه مؤلفه عام ١٩٢١ ، وأعيد طبعه (عدة مرات) مما يؤكد أهميته وسعة إنتشاره .

أشرنا قبل قليل الى أن القبور الحجرية ذات الشكل التلي والمنتشرة بشكل رئيسي في الأقسام الشمالية من جزيرة البحرين ، كانت البداية التي لفتت إنتباه الضباط البريطانيين وكذلك العاملين في حقل الآثار .

وكان لعددها الهائل الذي يربو على ١٠٠,٠٠٠ قبر ، سبباً في تركيز الجهود التنقيبية أو الأستكشافية في منطقة الخليج العربي بهذه القبور(١٠) والى مطلع الخمسينات من قرننا الحالي ، لم يتصور أحد أن تكون هذه القبور أسلوباً معمارياً عاماً يشمل منطقة الخليج العربي عامة وربما يتجاوزها الى مناطق أخرى من أرض الجزيرة العربية ، كذلك لم يتصور أحد أن تكون قبور البحرين تخص سكانها القدماء الذين تركوا مخلفاتهم البنائيه وجوانب من فنونهم وصناعتهم في بقايا مدينتهم القديمة التي شخصت طبقاتها الأثرية عند الحافات السفلية للقلعة البرتغالية التي تقع في أقصى شمال غرب جزيرة البحرين . وهكذا كان حال القبور التي كشف عنها في

مناطق أخرى من الخليج ، حيث كشف بالقرب منها أو بجوارها على بقايا مستوطنات السكان القدماء لمنطقة الخليج العربي .

ولأن مقابر البحرين ، كانت المجموعة الأولى التي شخصت في الخليج العربي ، شهدت بدورها أعمال حفريات أثرية مبكرة بغية التعرف على تخطيطها وأسلوب الدفن فيها وفترتها التاريخية ، وما يمكن أن تعكسه مواد الدفن فيها من حضارة أصحابها .

ترتبط أقدم أعمال حفريات أثرية في مقابر البحرين باسم الكابتن ديوراند أحد موظفي الخارجية البريطانية المعتمدين في البحرين ، والتي نفذها عام ١٨٧٩م ، وعلى الرغم من أن هذا الرجل لم يكن من المتخصصين في الآثار ، لكن آراءه التي أستخلصها من نتائج تنقيباته في مدافن البحرين بقيت قيمة ورجيحة حتى وقت قريب . فقد وصف لنا عظمة حقول المدافن ، وفتح واحداً من قبور «عالي» الكبيرة ووصف بناءه وبسبب ضخامة البناء ، شك ديوراند أن يكون هذا التشييد مخصصاً للدفن . ولكن أبرز إنجاز قام به ديوراند يتمثل في إكتشافه لأول كتابة مسمارية في البحرين ، نحتت على حجارة سوداء من البازلت وكانت وقت أكتشفها ديوراند مبنية في جدار أحد جوامع البحرين ، والحجرة بالأصل ربما كانت حجرة أساس ، تحمل أربعة أسطر من كتابة مسمارية نقرأ فيها :

«قصر ريوم ، خادم الأله انزاك ، رجل (قبيلة) أگاروم (هجاروم)» .

وعلى الرغم من كونها مختصرة جداً ، لكنها ذات دلالة علمية فائقة الأهمية حيث تتوضح منها بشكل خاص اسم الاله «انزاك» لذلك فهي تعد أشارة محتملة جداً لتشخيص جزيرة البحرين وربطها بدلمون القديمة . لان الأله «انزاك» ورد ذكره بمعية الاله «نابو» كآلاهين من آلهة دلمون ، وقد ورد ذلك في قائمة باسماء الآلهة عثر عليها في مكتبة آشور بانيبال في نينوى وترجمتها كما يلي : «الاله انزاك ، الاله نابو (آلهـي) دلمون» .

كانت كتابة حجرة البحرين المسمارية ، وارتباط اسم الاله «انزاك» بدلمون ، بداية توجه الدراسات صوب ربط دلمون القديمة بالبحرين الحالية ، وقد وصلت هذه الدراسات في نهاية مطافها الى قناعة تامة بهذا الأرتباط[11]

ومما يجدر التنويه به ، هو أنه رسم بجوار الكتابة على حجرة البحرين صورة سعفة ، مما يدعم فكرة إرتباط الكتابة والحجرة التي تحملها بمنطقة البحرين التي تشتهر تاريخياً بانتاج التمور وتصديره[12] .

أما العمل الثاني المرتبط بمقابر البحرين فيتصل باسم الكولونيل پرادوكس أحد موظفي الحكومة البريطانية في الهند ، حيث أرسلته حكومته لأستكشاف مقابر البحرين عام ١٩٠٦ م . وعلى الرغم من ضخامة حجم قبور منطقة «عالي» لكن هذا الضابط حفر في ثمانية منها مرة واحدة ، وأعتمد أسلوباً في التنقيب مرفوضاً حالياً بالأستناد الى الأساليب العلمية في التنقيبات الأثرية . فقد عمد الى حفر أنفاق تخترق جسم البناء الحجري للقبر وصولاً الى حجرة الدفن .

وكانت عنابر الدفن التي كشف عنها كبيرة الحجم وتشابه في مخططها غرف الدفن التي كشف عنها مكاي (سنتعرض الى أعماله بعد قليل) . ولكنها كانت خالية إلا من لقىً أثرية قليلة ومتفرقة . وكان تشخيصاً صائباً من پرادوكس قوله بأن قلة المواد الأثرية وتبعثرها سببه أعمال سرقة سابقة تعرضت لها هذه القبور . وكان من بين المواد التي عثر عليها خاتمان ذهبيان وأجزاء من تماثيل عاجية صغيرة . وكانت أجزاء التماثيل العاجية هذه وراء أعتقاد پرادوكس بأن تكون هذه المقابر فينيقية . وقد ثبت بعد عشر سنوات من تاريخ إكتشاف التماثيل العاجية في قبور البحرين ومن خلال أكتشاف مجاميع كبيرة من العاجيات في عواصم الآشوريين ، بأن جميع هذه العاجيات ليس لها علاقة بالفينيقيين .

أما الشخص الثالث الذي عمل في تنقيبات مقابر البحرين فهو آرنست مكاي ، الذي لمع أسمه بعدئذ إثر النتائج الهامة لتنقيباته في موهنجدارو . كذلك نفذ هذا الآثاري مواسم تنقيبات في كيش وجمدة نصر في العراق في الأعوام ما بين ١٩٢٩ - ١٩٣١ .

في عام ١٩٢٥ ، أرسله فلندز بيتري ، عالم الآثار المصرية المشهور ، من مصر الى البحرين ليحل غموض مقابر البحرين . ففتح حوالي (٥٠) قبراً ورسم مخططاتها ومقاطعها ووضع قوائم بموجوداتها الأثرية . وأبان تقرير مكاي بأن لكل قبر غرفة دفن مستطيلة مشيدة بالحجر

ومسقفة به أيضاً وتتجه من الشرق الى الغرب تقريبا ولها مدخل على جانبها الغربي ، ولمعظم القبور التي نقبها مكاي مقطع على شكل حرف -T- اللاتيني .

وينخفض مستوى السقف في نهاية الغرفة التي تكون لها حنيات جانبية مع وجود إختلاف في التخطيط التفصيلي ، فبعضها له حنية واحدة وأحياناً حنيتان ـ أما الموجودات الأثرية فكانت مبعثرة تماماً بما في ذلك عظام الأموات ، فاعتقد مكاي أن هذه الأجزاء من الهياكل العظمية قد أعيد دفنها بعد أن أحرقت في مناطق خاصة خارج القبور . وعلّق على كسر الأواني الفخارية بأنها تشير الى طقوس دينية لها علاقة بالدفن تقضي بذلك . وأضاف مكاي في تقريره عن هذه المدافن وعن جزيرة البحرين ، بأن الجزيرة لم تستوطن خلال فترات تاريخ هذه المدافن وأنما أستخدمت كمكان دفن من قبل سكان الأرض العربية المجاورة .

وهكذا واجهت البعثة الدانمركية عند بداية عملها في البحرين هذه النتائج السابقة لأعمال حفريات غير علمية أو غير دقيقة ، مقرونة بالفرضيات المتعددة التي قدمها من سبقهم في أستكشاف المقابر . فأرنست مكاي يقترح بأن تكون البحرين خلال الألف الثانية ق . م . أرضا للدفن استخدمها سكان الأرض العربية المجاورة ، وبرادوكس يعتقد بأن البحرين كانت قديماً موطناً للفينيقيين قبل نزوحهم منها الى شرق البحر المتوسط ، وكان يجد في عبارة وردت في تاريخ هيرودتس دعماً لرأيه ومفادها ، أن الفينيقيين على عهده (عهد هيرودتس يرجع لحدود منتصف القرن الخامس ق . م .) يدعون بأن أجدادهم جاؤوا من الخليج العربي . ولكن أرجح الآراء ذلك الذي دعي اليه ديوراند وطالب فيه بأن يؤجل البت في أمر هذه المقابر الى المستقبل(١٣) وقبل أن نشير الى أعمال البعثة الدانمركية في قبور البحرين ، نضيف الى قائمة الباحثين شخصاً آخر كان له نصيب المساهمة في حفر عدد من قبور البحرين ، وهو الدكتور كورنوال ، والتي نفذها خلال فترة الحرب العالمية الثانية والمهم ان هذا الباحث كتب فيا بعد سلسلة من المقالات التفصيلية وقدم من خلالها الادلة اللازمة لتشخيص الموقع الجغرافي لدلمون القديمة وربطها بالبحرين الحالية(١٤) .

تعد أعمال البعثة الدانمركية في الخليج العربي وتنقيباتها في المقابر من أوسع النشاطات العلمية بهذا الخصوص . فقد بدأت البعثة تنقيباتها الفعلية عام ١٩٥٤ وأستمرت لحدود عام ١٩٧٠ . ولم تقتصر أعمالها على منطقة البحرين بل شملت أقساماً واسعة من الخليج العربي ، من حدود فيلكا شمالاً والى الأمارات العربية المتحدة جنوباً . كما توزعت أعمالها على الساحل العربي وفي الجزر العربية للخليج ، لذلك غدت الصورة التي رسمتها لنا البعثة عن الخليج العربي في عصوره القديمة من أكثر الصور تفصيلا على الرغم من كونها غير كاملة بعد . خاصة وأن أعمال البعثة الدانمركية لم تقتصر على التنقيب في المقابر فحسب ، بل شملت مناطق استيطانية عديدة ، كذلك أستكشفت مناطق أخرى أوسع ، تعد مراكز عمل لمستقبل الأعمال الآثارية في الخليج العربي(١٥) .

وهذا ما يتم فعلاً في العديد من مناطق الخليج العربي ، حيث أخذت في السنوات الأخيرة ، بعض البعثات العربية والمحلية تشارك بقسط لا بأس به من مقتضيات أعمال التنقيب والصيانة ، منها الحفريات التي بدأها قسم الآثار بدائرة التربية والتعليم البحرانية مطلع عام ١٩٧٠ ، والتي شملت مجموعة من قبور منطقة الحجر ، حيث أضافت نتائج أعماله الى معلوماتنا عن هذه القبور أموراً هامة جداً(١٦) ، وهكذا يتضح لنا بأن توسيع دائرة الأعمال التنقيبية في مقابر الخليج العربي سيحسم لنا كثيراً من المعوقات التي تعترض سبيلنا لمعرفة الأحداث الحضارية لمنطقة الخليج العربي .

المدافن الحجرية التلّية* : Tumuli

ذكرنا سابقاً أن مقابر البحرين كانت البداية لأكتشاف أعداد هائلة من المقابر تنتشر على طول إمتداد الخليج العربي . وأن الشكل العام الظاهري لهذه المقابر يختلف بعض الشيء من منطقة لأخرى مع الاحتفاظ بالخصائص العامة للتخطيط والوظيفة ، فالشكل الظاهري الذي يغلب على مقابر البحرين ، هو شكل تلال أو كثبان رملية تقرب جداً من الأشكال الطبيعية لهذه الظواهر الأرضية . وتختلف هذه التلال الأصطناعية التي تضم في جوفها بناءً حجرياً متقناً متعدد الأقسام ، في إرتفاعها تبعاً لحجم البناء الحجري الداخلي . فمنها ما يرتفع عن سطح الأرض الى علو يتراوح ما بين (٦ ـ ١٢) قدم . وهي الغالبية العظمى من مقابر

* كان الشكل التالي لمدافن البحرين هو الذي اوحىٰ باستخدام لفظة Tumuii وهي من :
barrow or burial — mound = Tumulus
وهي مدافن حجرية منها مستطيلة واخرىٰ دائرية الشكل يرجع زمنها للعصر البرونزي (الالف الثالث ق .م . يشيد القبر من قطع حجرية ثم يغطىٰ بالتراب او الحجارة مكوناً تلاً حجرياً او ترابياً . ويشيع النوع الدائري من هذه القبور في معظم انحاء انكلترا . James Stewart An Archaeological Guide and Glossary, London 1960 p. 35 — 36

البحرين[١٧]، ومنها قبور عملاقة الحجم ، يظن بأنها قبور ملكية ، يصل إرتفاع الواحد منها لحدود (٤٠) قدم ، بينما يصل إرتفاع بعضها الى حد يتراوح ما بين (٦٥ ـ ٨٠) قدم . ولكن القبور الكبيرة الحجم هذه قليلة العدد بالقياس الى أعداد قبور البحرين . حيث لا تزيد عن ثلاثين قبراً .

تحتل المدافن في البحرين مساحة قدرها عشرون ميلاً مربعاً ، وتتركز في الأقسام الشمالية الغربية من الجزيرة ، وتغطي هذه المساحة الواسعة المنطقة الممتدة بين قرية «عالي» (وتجاورها قبور البحرين العملاقة المعروفة بقبور عالي) وطريق الهملة مارة بالبساتين المحيطة بقرية دمستان وكرزكان والمالكية .

تخطيط مدافن البحرين :

من الصحيح جداً بأن الصورة الكاملة لمدافن البحرين لم تستكمل أبعادها بعد ، بسبب نقص أعمال التنقيب فيها ، وهذا ما يؤكد اكتشاف مقابر سلوقية من نوع «المقبرة الجماعية» على جانبي شارع البديع[١٨]. ولكن أسساً عامة مشتركة تجمع بين هذه القبور بالأستناد الى القبور المنقبة ، مع ملاحظة وجود فروقات ثانوية ، كفرق حجم القبر ومساحته وعدد عنابر الدفن فيه وغير ذلك .

إن النموذج العام لمقابر البحرين يتمثل في المدفن المفرد ، أي القبر المستخدم لميت واحد ولمرة واحدة .

إن شكل القبر عبارة عن غرفة مستطيلة الشكل شيدت بحجر غير مهندم تمتد من الشرق الى الغرب ، ومدخلها في الجهة الغربية . وفي نهاية المستطيل أي الطرف المقابل للباب تنفرج فسحة المستطيل صوب الشمال والجنوب مكونةً شكلاً مستطيلا إمتداده من الشمال الى الجنوب ، بحيث يأخذ تخطيط القبر شكلا عاماً يشبه حرف (T) اللاتيني . وقد فرشت أرضية القبر بقطع الحجارة غطيت بطبقة رملية ناعمة قبل الشروع بدفن الميت .

وقد تأكد كون الطبقة الرملية لها علاقة بطقوس الدفن ، حيث لوحظ وجودها في غرف الدفن للطابق الثاني في المدافن المزدوجة .

وكانت هذه القبور تغطى بقطع حجرية كبيرة تملأ فضاء السقف الذي يشكله البناء المستطيل الشكل الذي لا يزيد عرضه عن متر واحد . وقد شوهدت قطع حجارة السقف ساقطة داخل القبر بعد أن تعرض القبر لاعمال السرقة ، حيث شرعت تلك الأعمال اللصوصية لتنفيذ مهمتها بحفر خنادق من أعلى قمة التل الترابي الذي يغطي البناء الحجري ، فكان تضرر بناء السقف أبلغ من الأقسام الأخرى .

إن مدخل القبور يرتفع عن مستوى سطح الأرض بصف أو صفين من الحجارة تشكل عتبة المدخل .

وأحيط بناء القبر بجدار شيد من تراكم حجر غير مهندم لا يزيد إرتفاعه عن (٥٠) سم يحيط القبر بشكل دائري ، ثم يتلو ذلك أحاطة البناء المستطيل الشكل وجداره الدائري الخارجي بركام رملي . يشكّل المظهر الخارجي العام للقبر ويجعله على شكل كثيب رملي أو تل رملي .

المدفن المزدوج :

وهو النوع الذي يشير تخطيطه الى دفن أكثر من شخص واحد . ولكن هذا النوع من المدافن قليل عددياً بالقياس الى النوع الأول . ومن نماذجه بعض قبور عالي ، وأخرى قريبة من قرى الجنبية والقرية وسار .

ويشابه تخطيط المدفن المزدوج المدفن المفرد ، مع ملاحظة كون الجدار الدائري الحجري الذي يحيط القبر يميل عند إرتفاعه نحو الداخل تدريجياً ، مما يدعو للأعتقاد بأن المدفن أثناء بنائه كان محاطا بجدار من حجر (اللايمستون) الأبيض يعلو الى إرتفاع يقرب ثلاثة أقدام ، كما يصل إرتفاع بعضها الآخر الى علو (١٠ ـ ١٢ قدم) ، وربما وصل بعضها الى قمة التل مكونا برجاً دائرياً من الحجر[١٩].

واعتمدت فتحة مربعة الشكل نحتت في قطعة من حجر البناء مدخلاً الى غرفتي الدفن . كان تشييد المدفن المزدوج في مقابر البحرين من غرفتين إحداهما فوق الأخرى ، مع إحتفاظ الغرفة السفلية بفتحات قد تكون للأضاءة أو التهوية . كذلك بلّطت ارضية المدفن بقطع حجرية فرشت عليها طبقة من الرمل الناعم ، الذي يتكرر فرشه على أرضية الغرفة العلوية ، مما يدفع للأعتقاد بأن وراء ذلك جانب من طقوسهم الدينية كما أسلفنا قبل قليل .

إن تخطيط غرفة الدفن مستطيلة الشكل تتجه أيضا من الشرق الى الغرب تقريباً ومداخلها في الجهة الجنوبية ، كذلك أستخدمت قطع حجرية كبيرة لتغطية سقف حجرات الدفن . ولوحظ أيضاً بقايا ملاط كلسي يغلف الأوجه

الداخلية لغرف الدفن .

يستند تسقيف حجرات الدفن في مقابر البحرين على طريقة فنية في البناء تعتمد إحداث ميل تدريجي للجدران نحو الداخل قليلا ، ويكون الميلان نحو الداخل أكثر وضوحاً عند مستوى الغرفة العلوية ، وبالتالي تختصر مسافة الفضاء عند النهاية العلوية للجدران بالقياس الى المسافة عند الأرضية ، وذلك يساعد في تسهيل عملية التسقيف .

وقد وضح من حفريات قبور ، عالي الكبيرة ، أن التل الترابي ، كان يحيط البناء الحجري قبل الشروع بدفن الميت . لذلك عملوا ممرات حجرية عمودية تخترق قمة التل الترابي وتوصل الى مدخل حجرة الدفن في الناحية الجنوبية . أو أفقية تتألف من صفين من الحجارة يمتد من سفح التل الى مدخل حجرة الدفن ، وكان المدخل يغطى أو يسد بقطع من الحجارة الكبيرة بعد الانتهاء من الدفن .

المقابر السلوقية :

إن التل الرملي الذي يغطي معظم مدافن البحرين يواصل تغطيته للمقابر من العهد السلوقي (القرن الثالث ق . م .) ولكن المقابر السلوقية ثبت كونها مدافن جماعية تضم عددا من اللحود . أو تكون مجموعة من القبور الصغيرة تغطيها مجتمعة تلة ترابية كبيرة .

وتنتشر هذه القبور على جانبي شارع البديع ، ومنها ما يقع غرب معبد بربار . وقد شيدت معظم المقابر السلوقية بحجارة مهندمة وبعضُ الحجارة تحمل رسم الحروف الأبجدية اليونانية مما يرجح نسبتها الى العصر السلوقي ولا تلتزم هذه القبور باتجاه معين في مخططها الأرضي . وقد تعرضت كثيرها من مدافن البحرين لأعمال سرقة واسعة ، فتسبب ذلك في تلف ما أبقاه السراق من مواد أثرية ، ولكن القليل من الفخار أو الكسر الفخارية مع متفرقات أثرية أخرى ككسر الزجاج والنحاس والحجر والحديد والأصداف والعاج والرخام ، تتفق جميعها مع الطرز الفنية والتقنية لصناعات الفترة السلوقية (الهلينستية) .

محتويات مدافن البحرين :

إن معظم مقابر البحرين التي أستكشفها المنقبون إبتداءً بديوراند ، وحتى القبور التي نقبتها البعثة الدانمركية ، قد تعرضت لأعمال سرقة سابقة ، مما تسبب في بعثرة مواد الدفن والهياكل العظمية ، مع إتلاف جزء كبير من بناء القبر . لذلك كان موضوع تحديد تواريخ هذه المدافن من المواضيع التي شغلت الباحثين لفترة من الزمن .

تجمعت لدى الباحثين من خلال التنقيبات في هذه القبور ، مجاميع من المواد الأثرية المتفرقة ، منها فخاريات معظمها مهشم ، لكن تم تركيب بعضها وإعادة رسم بعضها الآخر . وكذلك قطع من العاجيات وبعض المصوغات النهبية والمعدنية الأخرى ، كخاتم ذهبي وخناجر نحاسية وبرونزية ، ونوع من الكؤوس صنعت من قشور بيض النعام ..

إن قشور بيض النعام المستخدمة على شكل كؤوس مدفنية تذكرنا بكسر من قشور بيض النعام عثر عليها داخل مقبرة كبيرة في هجر بن حميد في العربية الجنوبية . وعلى الرغم من أن تخطيط المقبرة العربية الجنوبية يختلف عن تخطيط مقابر البحرين ، حيث أنها مستطيلة الشكل، قسمت بواسطة جدران عموديه على الأضلاع الخارجية ، الى عنابر للدفن ، تذكرنا بأشكال المقابر السلوقية من البحرين ، وهذا يتفق مع تاريخ مقبرة هجر بن حميد ، التي يؤرخها الدارسون بالاستناد الى بعض اللقى الأثرية التي عثر عليها بداخلها الى حدود القرن الثاني ق .م .[٢٠] ولكن على الرغم من الفارق الزمني الطويل بين مقابر البحرين التي يرجح زمنها بحدود الألف الثالث ق .م . ، وبين مقبرة هجر بن حميد ، يبقى موضوع أستخدام قشور بيض النعام في المواد الدفنية يؤشر طقساً دينياً مشتركاً بين سكان الخليج العربي القدماء وإخوانهم سكان العربية الجنوبية .

كما أن وجود قشور بيض النعام يشير من جانب آخر لتواجد هذا الحيوان في أقسام مختلفة من بلاد العرب ، وذلك أمر له دلالته الهامة في دراسة الأحوال المناخية والجغرافية للأرض العربية .

ومما يجدر التنويه به ، الى أننا نعرف استخدام قشور بيض النعام على شكل أواني دفنية من المقبرة الملكية في أور ، وإن بعض هذه الأواني مطعم بشرائط من الصدف الأبيض والملون ، ويستطيع القارىء مشاهدة بعضها في القاعة السومرية من المتحف العراقي ببغداد ضمن آثار المقبرة الملكية في أور .

إن صلات الخليج العربي بمراكز الحضارة العراقية القديمة ، لا تتأكد من وجود أواني مصنوعة من قشور بيض النعام في المقابر فحسب ، وإنما من كثير من المخلفات الأثرية التي توضح عمق الصلات وديومتها بين الطرفين ، ومن ذلك العثور على أختام أسطوانية عراقية الصنع في مدافن البحرين جنباً الى جنب مع أختام دائرية دلمونية الطراز .

يمتد عمر المدافن التلّية في البحرين ما بين الألف الثالثة ق . م . والى العهد السلوقي في القرن الثالث ق . م . ، ونظراً لكون مادة تشييد هذه القبور هي الحجر التي تقاوم فعل الزمن ، فالأرجح أن هذه المقابر أستمر أستخدامها لفترات زمنية طويلة .

ومن الأمور الهامة التي تخص مدافن البحرين ، هو تأكد البعثة الدانمركية بعد توسع أعمال تنقيباتها في جزيزة البحرين ، كون بناة هذه المدافن هم سكان البحرين القدماء ، ونستطيع أن نطلق عليهم تسمية «الدلمونيين» نسبة الى «دلمون» أسم بلادهم القديم . فقد عثر في بعض المدافن على فخار متميز ، ترتبط صناعته في شكله ولونه بالبحرين نفسها ، وقد عثر على هذا النوع من الفخار الأحمر اللون في معبد «بربار» أحد معابد البحرين القديمة ، وكذلك في الطبقة الثانية أو المدينة الثانية من «دلمون» القديمة ، التي عثر على طبقاتها البنائية أسفل جدران القلعة البرتغالية على الساحل الشمالي الغربي للبحرين . وهكذا أصبح بالأمكان تأرخة بعض هذه المدافن الى حدود ٢٣٠٠ سنة ق . م .[٢١] .

كذلك أصبح تأريخ مجموعة أخرىٰ من القبور الى حدود فترة العهد البابلي القديم (٢٠٠٠ ـ ١٨٠٠ ق . م .) مؤكداً ، وذلك بدليل الأختام الأسطوانية العراقية الصنع التي عثر عليها داخل القبور[٢٢] .

ثم كانت مخلفات مجموعة أخرى من القبور بموادها من أختام أسطوانية وفخاريات العهد البابلي الحديث تؤرخ هذه المجوعة للفترة البابلية الحديثة وهكذا يتبين من المواد الأثرية التي وصلت أيدي الباحثين ، على الرغم من قلتها ، الأمور التالية :

١ ـ أن قبور البحرين تغطي فترة زمنية طويلة ربما تكون بطول عمر الحضارة القديمة في البحرين والتي نصطلح على تسميتها بالحضارة الدلمونية .

٢ ـ أن بناة هذه القبور هم سكنة البحرين القدماء ، والذين مارسوا أشكال النشاطات الحضارية المختلفة وكان من أبرزها مساهماتهم التجارية على الطريق التجاري الكبير الذي ربط بلاد وادي الرافدين بمراكز الخليج العربي ومراكز حضارة وادي السند القديمة . وقد تأكد ذلك من أكتشاف الفخار الدلموني الأحمر اللون في المدافن والمستوطنات على نفس الجزيرة . كذلك أكدت الأختام الأسطوانية العراقية الصنع تبعية هذه القبور لسكان دلمون القدماء (البحرين) لأن الدلمونيين كانوا وراء نشاطات تجارية واسعة مع مراكز مدن بلاد وادي الرافدين .

٣ ـ وبعد الكشف عن مقابر حجرية وباعداد كبيرة تصل في واحة «جبرين» فقط لحدود (٥٠,٠٠٠) قبر ، وهي الواحة التي تقع في داخل أرض الجزيرة العربية حيث تبعد مسافة (٣٠٠) ميل عن ساحل الخليج عند منطقة الهفوف كذلك تنتشر المدافن في معظم أنحاء الأرض العربية في المناطق المجاورة للخليج العربي ، مثلما كشف عن أعداد منها على أطراف قرية الثاج التي تبعد حوالي (٧٠) ميلاً عن ساحل القطيف . لذلك كان أعداد المقابر الكبيرة هذه في الأرض العربية المجاورة للخليج العربي دليلاً على نفي الرأي القديم الذي كان يرى في كون جزيرة البحرين أعتمدت مكاناً خاصاً للدفن من قبل سكان الأرض العربية المجاورة .

قبور جبرين وقطر :

وقبل أن ننتقل في حديثنا عن المقابر صوب الأقسام الجنوبية للخليج العربي ، نود أن نشير وبسرعة الى مجاميع من القبور الحجرية في الأقسام الوسطى من منطقة الخليج العربي ، إن سبب الأشارة السريعة الى هذه القبور دون تفصيل هو نقص أعمال التنقيبات ، وبالتالي الصورة المشوشة حالياً عنها ، من حيث طراز بنائها أو مخلفاتها أو تاريخها .

سبق لنا أن أشرنا قبل قليل الى واحة جبرين الواقعة في الأقسام الشرقية للمملكة العربية السعودية . وهي واحة كبيرة يرتادها الرعاة موسمياً في فصل الربيع . ولكن الأعداد الكبيرة من القبور الحجرية (الرجم) التي تنتشر على حافات التلال المحيطة بالواحة ، وفي وسطها أحياناً ، يشير الى

إحتمالات سكنى كثيفة في عصورها القديمة ، أو على الأقل في الفترات المعاصرة لزمن بناء المقابر . ولكن قلّة الأعمال التنقيبية في المنطقة تحول دون تعيين مراكز الأستيطان القديمة . تتشابه قبور جبرين مع قبور متفرقة شخصت في شبه جزيرة قطر ، وكذلك مع مجموعة قبور على سفوح جبل حفيت المجاور لمنطقة العين في دولة الأمارات العربية المتحدة .

يختلف شكل وتخطيط قبور جبرين عن مدافن البحرين ، فهي عبارة عن غرفة دفن مستطيلة الشكل مشيدة باتقان من حجر غير مهندم ، تخلو من مدخل ثم تكوّم قطع الحجارة فوق البناء بحيث يعطي شكل تلة حجرية ترتفع عن مستوى سطح الأرض بمستوى حجم القبر الذي تحيطه وتغلفه .

إن العدد القليل من هذه القبور التي أستكشفتها البعثة الدانمركية ، تبين أنها قد تعرضت كغيرها من القبور ، لأعمال سرقة سابقة ، ولم تنجح البعثة سوى في الحصول على بعض العظام البشرية المتناثرة ورأس سهم برونزي أعتمدته البعثة كدليل أثري لتاريخ هذه القبور بشكل أولي ، وذلك لحدود منتصف الألف الثانية ق.م .[٢٣]

إن من أبرز النقاط التي يجب التحقيق منها عن طريق التنقيب في قبور جبرين ، هي محاولة الكشف عن بعض قبور لم تتعرض لأعمال سرقة سابقة وبالتالي الحصول على مواد أثرية كافية ترسم أمامنا طريق معرفة هوية سكان الواحة القدماء وتاريخهم وجانب من نشاطهم وصلاتهم الحضارية كذلك يجب السعي لتعيين المستوطنات القديمة في منطقة واحة جبرين ، لأنه تأكد لنا بصورة مقنعة من مناطق مختلفة في الخليج العربي ، بأن حقول المدافن تقوم غالباً بجوار المستوطنات القديمة ، وتعد مقابر البحرين ومستوطنها القديم مثلاً جيداً ، ويجد هذا المثال دعماً وتأكيداً من مقابر ومستوطن أم النار القديم ، وهو الأمر الذي سنتعرض اليه في مستقبل حديثنا عن مقابر القسم الجنوبي من الخليج العربي .

أما شبه جزيرة قطر ، فتشير عمليات الأستكشاف الأثرية الى إنتشار عدد كبير من مستوطنات العصور الحجرية في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة ، على السواحل ، وفي بعض الأقسام الداخلية باتجاه عنق شبه الجزيرة المتصل بأرض الجزيرة العربية ..

إن مواد مستوطنات العصور الحجرية في قطر من آلات حجرية مختلفة الأشكال والحجوم تشير الى نشاط صيد بري وبحري كبيرين مارسه سكان هذه المنطقة . وإن بعض الالات الحجرية يمكن تصنيفها ومقارنتها بالالات الحجرية التقليدية التي نعرفها عن ثقافات العصور الحجرية القديمة في مناطق الشرق الأدنى القديم عامة . ولكن موضوع الحدود الزمنية لبدايات ونهايات العصور الحجرية عامة ، ومراحلها المختلفة بالنسبة لشبه جزيرة قطر ، لم يبت بها بعد[٢٤] . والأمل معقود الآن على جهود البعثة الفرنسية التي تواصل أعمالها في مستوطنات العصور الحجرية في قطر ، لتحديد السمات العامة ، الثقافية والزمنية لأنسان العصور الحجرية في قطر "[٢٥].

ونتيجة لأعمال الأستكشاف الأثري في شبه جزيرة قطر ، شخصت مجاميع من التلال الحجرية قليلة الأرتفاع (رجم) ، وبخاصة على مقربة من السواحل الغربية لشبه الجزيرة شمال موقع «دخان» ، ويتناثر قسم آخر من هذه القبور في الأقسام الشمالية الغربية من قطر على شكل مجموعات يتراوح عدد المجموعة الواحدة ما بين (٤٠ ـ ٥٠) قبراً . وتتشابه قبور قطر كثيراً مع قبور جبرين في شكلها الخارجي وتخطيطها الداخلي . فهي عبارة عن لحد مستطيل الشكل يغور في الأرض قليلاً ، شيد بحجارة معمولة غير مهندمة ، يحيط بالقبر ويغطيه ركام حجري أعتمد سقفاً وغطاءً لكل مساحة اللحد .

ومن الملاحظات الأولية بشأن قبور قطر ، إن إتجاه اللحد شمالي جنوبي عكس غرف الدفن في مقابر البحرين التي عرفنا أنها تتجه شرق ـ غرب .

ولم يعثر بعية الهيكل العظمي على أية أدوات دفنية ، وقد وضع الميت بشكل نصف مطو على غرار هياكل مدافن البحرين . فهو مسجى على جانبه الأيمن ورأسه باتجاه الشمال وسيقانه مثنيتان ، وكذلك يداه بحيث أصبح الكفان يقابلان وجه الميت "[٢٦] .

لم يعرف زمن قبور قطر بسبب غياب المواد الأثرية الدفنية فيها . ولكن وضع الدفن ، وكذلك استخدام بعض النصب الحجرية على سطح القبور يؤكد كونها ترجع لفترات سبقت العهد الأسلامي .

وبشكل عام ، فاننا ننتظر مزيداً من التنقيبات في قبور قطر لتوضيح أبعاد النشاط الأنساني في شبه الجزيرة هذه وطبيعة صلاته وتاريخه .

ونود أن نلفت الأنتباه الى أن القبور الفردية الذي يشكل مظهرها الخارجي كومة من الحجارة (الرجم)[٣٧] ، والتي وجدناها في جبرين وقطر وسفوح جبل حفيت ، انما هي الشكل الغالب للقبور في معظم أنحاء العربية الجنوبية ، مع ملاحظة بعض الفروقات في شكل غرفة الدفن كأن تكون دائرية في بعض المدافن ، ويحتوي بعضها الآخر على مداخل ، مما يرجح استخدامها للدفن لأكثر من مرة[٣٨]. ويرجع مستكشفو مقابر العربية الجنوبية بأن زمنها يرجع لفترة تمتد ما بين الألف الأول ق .م . والى حدود القرون الميلادية الأولى . ويؤكدون بأن بعض البدو الحاليين من سكنة مناطق العربية الجنوبية لازالوا يدفنون تحت الرجم ويعني هذا أن رجم Carins العربية الجنوبية يمكن أن تؤرخ من العصر الحميري والى حدود الوقت الحاضر[٣٩].

مقابر أم النار :

أم النار جزيرة صغيرة تقع في نهايات مياه الخليج العربي ، في الزاوية الجنوبية الشرقية لجزيرة أبو ظبي العاصمة ، مقابل جسر المقطع الذي يصل اليابسة بجزيرة أبو ظبي . وتبعد أم النار مسافة عشرين كم براً عن العاصمة أبو ظبي .

تبلغ مساحة الجزيرة ثلاثة كم طولاً وكيلومتراً واحداً عرضاً ، والجزيرة مقفرة خالية من السكان ، وأرضها حجرية خالية تماماً من الخضرة والأشجار ، تتوسطها هضبة مكونة من حجر جيري وكلسي .

منذ عام ١٩٦٠ ، وهي السنة التي بدأت فيها البعثة الدانمركية تنقيباتها في عدد من المقابر الحجرية ، وهذه الجزيرة تمثل أهمية متزايدة في المحافل الآثارية ، ويتردد أسمها في معظم التقارير العلمية للتنقيبات الأثرية في مناطق الخليج العربي ، ونظراً لشيوع طراز معماري متميز في أبنية مقابرها ، والكشف عن مخلفات أثرية متميزة في هذه المقابر ، أخذت البعثات التنقيبية تطلق مصطلح «ثقافة أم النار» على العناصر المعمارية أو الصناعية المماثلة التي تعثر عليها في مناطق مختلفة من الخليج العربي وعمان[٣٠] .

عينت في جزيرة أم النار مجموعة من القبور الحجرية الدائرية الشكل ، يقارب عددها (٥٠) قبراً ، تقع على الهضبة الحجرية في الشمال الشرقي للجزيرة كذلك تم تشخيص بقايا مستوطن قديم على المنحدر الشرقي لنفس الهضبة .

ان أولى الجهود التنقيبية في قبور أم النار ترجع الى البعثة الدانمركية عندما أجرت تنقيبات موسعة شملت (٨) من القبور ، وقد أظهرت دراسة هذه القبور انها تشترك مع بعضها في الأسس الرئيسية للمعمار والتخطيط مع بعض الاختلافات في التفصيلات الثانوية ، كحجم القبر أو مستوى العناية ببنائه وزخرفته .

إن المخطط الخارجي لقبور أم النار دائري الشكل ، واستخدم في تشييد الجدار الخارجي الدائري الشكل لبعض القبور قطع من الحجارة المهندمة وبأوجه صقيلة ، بحيث أصبح بالامكان رصف صفوف الحجارة على بعضها دونما حاجة الى مادة ملاطية . كما روعي عند إعداد قطع الحجارة إجراء إنحناء هندسي محسوب لتناسب البناء الدائري الشكل .

يميل الجدار الخارجي في إرتفاعه الى الداخل تدريجياً ، بحيث يوحي الشكل الظاهري العام للقبر بأشكال خلايا النحل .

وتكون قطع الحجارة المهندمة المستخدمة في بناء الجدار الخارجي ، في الصفوف السفلية الأولى أكبر من الثانية ، وفي الصفوف الثانية أكبر من الثالثة ، وهكذا تصغر قطع الحجارة المستخدمة مع إرتفاع الجدار ، ويقصد من وراء ذلك ، منح الجدار قدرة تحمل ثقل البناء الحجري العالي .

ويستند الصف الأول من حجارة الوجه الخارجي الدائري على قطع حجرية كبيرة مصقولة يقرب إرتفاع الواحدة منها (٢٠ سم) . أما الارتفاع الكلي للجدار الخارجي الدائري الشكل فيتراوح ما بين (٧٠ ـ ٢٥٠ سم) فوق حجر القاعدة .

أما مخطط داخل القبر ، فيقسم بواسطة جدران فاصلة الى مجموعة من عناصر الدفن (لحد) ، وهي تختلف في عددها وإتجاهاتها من قبر لآخر ، حيث يبدو ان عنابر الدفن ومواقع الجدران الداخلية الفاصلة انما تعتمد على حجم المقبرة نفسها ، فكلما كانت المقبرة كبيرة ، تطلب ذلك إقامة

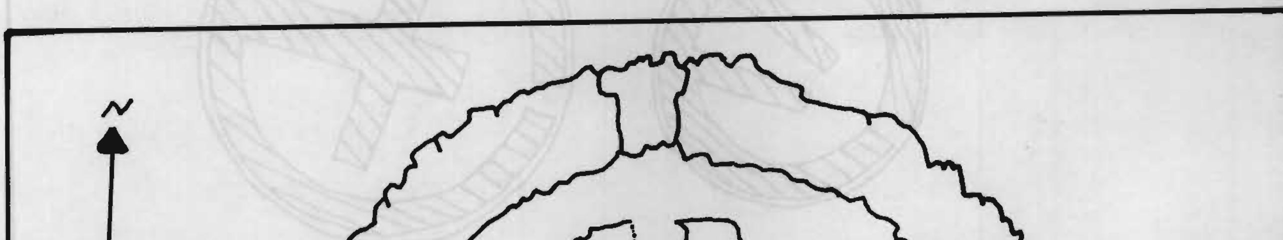
المزيد من الجدران الفاصلة لتقليل مساحة الفضاء وتسهيل عملية التسقيف .

وفيما عدا حجارة الوجه الخارجي المهندمة والمصقولة ، فإن بقية قطع الحجارة المستخدمة في تشييد الجدران الفاصلة الداخلية ، فهي من حجر غير مهندم .

إن الجدار الخارجي والجدران الفاصلة الداخلية ، شيدت بشكل مزدوج بغية تحمل ثقل القطع الحجرية الكبيرة التي تستخدم في تسقيف القبر .

لمعظم مقابر أم النار مدخلان ، وهناك مدخل واحد في المقابر الصغيرة الحجم ، وتقطع حجارات المدخل بشكل معتنى به كثيراً ، وتشكل فتحات المداخل أشكالاً مربعة أو مثلثة ضيقة نسبياً ، وترتفع عن مستوى سطح الأرض قليلاً ، وتنحت المداخل أحياناً في قطع حجر الجدار الخارجي وقد شوهدت على جانبي مدخل أحد القبور صور نفذت بأسلوب النحت البارز لثور ظهره مستقيم من النوع العربي ، وليس النوع الاحدب الذي يميز صور ثيران الحضارة الهندية القديمة ، بينما نحتت على الجانب الثاني للمدخل صورة جمل ومهاة .

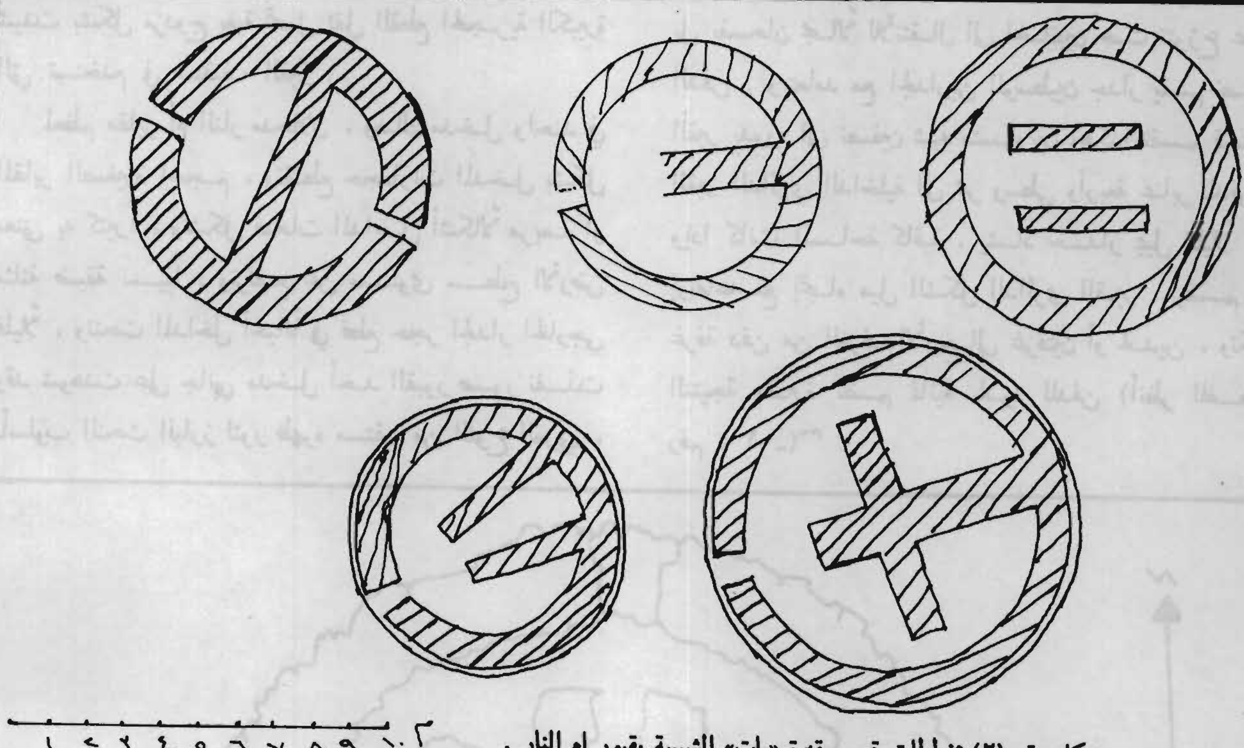
يلي المدخل ممر وسطي يشكله جداران قاطعان ، بحيث يقسم الممر مساحة القبر الداخلية الى قسمين ، وأن جداري الممر الوسطي لاينتهيان عند جدار المحيط الداخلي للقبر ، بل يفسحان مجالاً للأنتقال الى الجانبين حيث تتوزع عنابر الدفن . ويتعامد مع الجدارين الوسطيين جدار يقسم نصف القبر بدوره الى نصفين شبه متساويين وهكذا تقسم فسحة القبر الدائري الداخلية الى ممر وسطي وأربعة عنابر للدفن . وإذا كانت المساحة كافية ، يشاد جدار يميل قليلاً عند إرتفاعه مع إتجاه ميل الشكل الدائري للقبر ، ليقسم كل غرفة دفن من الغرف الأربع الى غرفتين أو لحدين ، وتكون النتيجة مقبرة تضم ثمانية لحود للدفن (أنظر المخطط رقم ـ ١ ـ)[٣١] .



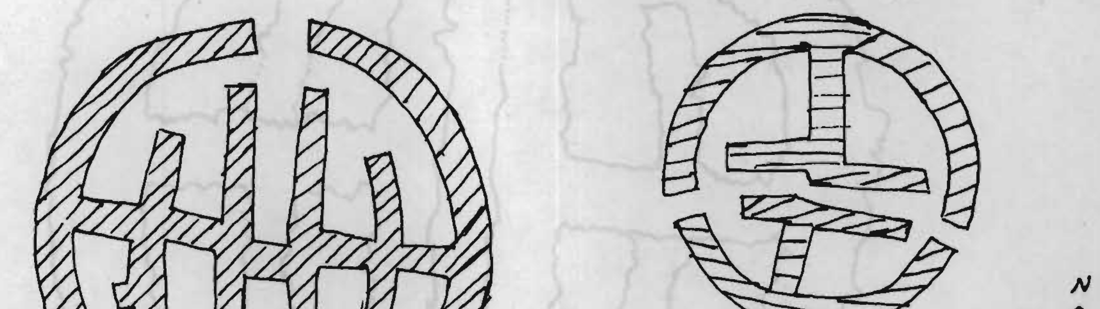
شكل رقم(١) المخطط الارضي للقبر رقم (١) في جزيرة ام النار

عن Kuml, 1962 B 193

ليس التخطيط الداخلي الذي عرضناه عاماً يشمل كل المقابر ، بل يختلف من قبر لآخر تبعاً لحجم القبر . (أنظر مخططات بعض القبور في الشكل رقم ـ ٢ ـ) أما تسقيف هذه المقابر ، فأنه يجزأ الى سقوف صغيرة في حدود كل لحد ، وبعدها ترتبط سقوف عنابر الدفن مع بعضها في سقف موحد للمقبرة . ويعتمد البناؤون لتقليل مساحة الفضاء عند التسقيف الى احداث ميل تدريجي في جدران كل غرفة دفن مع إرتفاعها بحيث تكون المسافة عند نهاية الجدران العلوية أقل من المسافة بين قاعدتي الجدارين ، ثم تهيىء قطع كبيرة من الحجارة لتغطية المسافة المتبقية من



شكل رقم (٢) مخططات قبور مقبرة «بات» الشبيهة بقبور ام النار .





مخططات قبور ام النار من جزيرة ام النار .

نقلت

Kareu F ifelt:

Apossible Link Between the Gemdet Nasr and the Umm

An æ Nar Graves of Dman

The Gournal of oma Studies. Vol I, 1975. P-76.

الفضاء مشكلة سقف غرفة الدفن (انظر الشكل رقم - ٣ -)

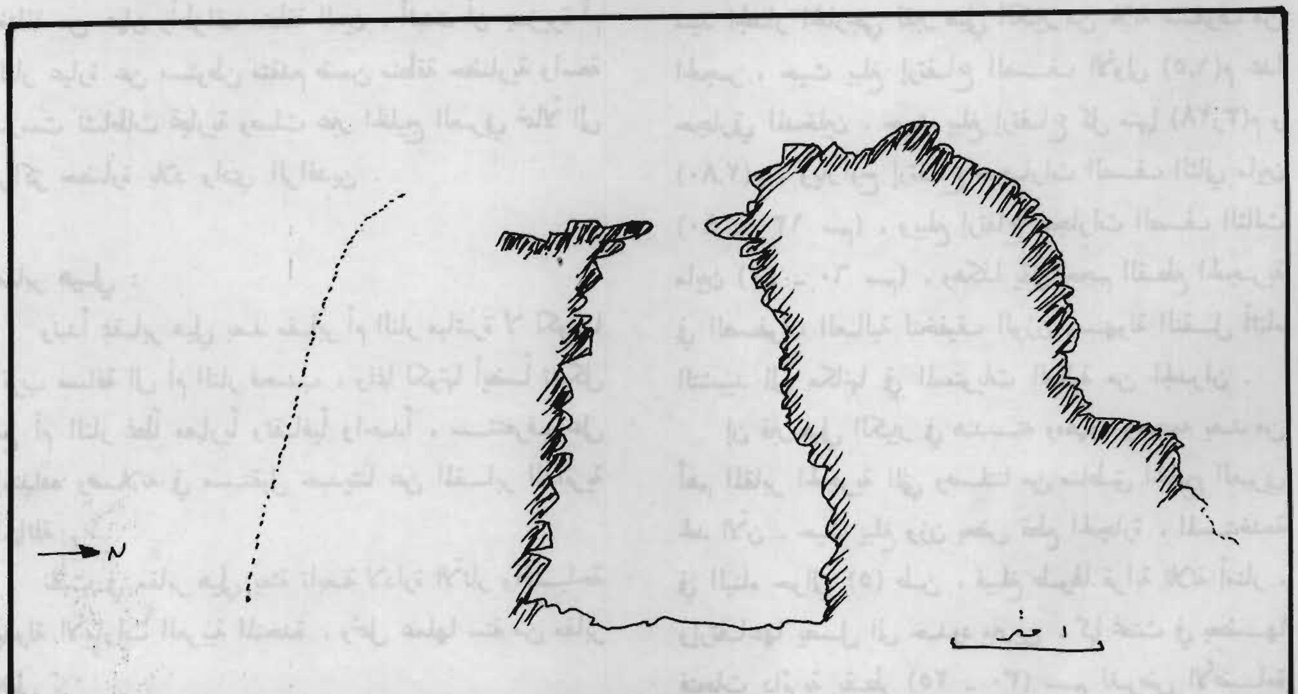
إن مقابر أم النار بنيت لأكثر من شخص واحد بدليل عنابر الدفن فيها ، كما لوحظ أن غرفة الدفن الواحدة أستخدمت لأكثر من مرة واحدة ، حيث كانوا يجمعون عظام الميت القديم الى جانب اللحد لتسجية ميت جديد .

وكان الميت يغطى بعض جسمه على الأقل بقماش عند الدفن ، وتوضع معه مجموعة من المواد كقلائد من الخرز وفخاريات وأواني حجرية وخناجر ومكاحل من النحاس أو البرونز . كما عثر في أحد القبور على قرص مغزل ، ويبدو من المواد السالفة الذكر انه كان يراعى عند وضعها جنس الميت ذكراً كان أم انثى .

ويرجح جداً أن دفن الأموات داخل القبور كان ترافقه طقوس دفنية خارج القبر ، فقد عثر على ثلاثة هياكل عظيمة لبشر ومعها أوان فخارية وحجر مطاحن عند نهاية جدار أحد القبور من الخارج .

أما وضعية الدفن فهي تشبه الى حد ما وضعية الموتى في قبور البحرين حيث كان الميت يسجى على جانبه الأيمن أو الأيسر مع ثني قدميه وذراعيه الى داخل الجسم . ولكن هل أن وضعية الميت بهذا الشكل إشارة الى طقس ديني معين أو مراعاة لحجم اللحد ؟ فهذا أمر لا نستطيع البت فيه في الوقت الحاضر . كانت البعثة الدانمركية محظوظة في تنقيباتها في مقابر أم النار ، فقد حصلت على مجموعة لا بأس بها من الفخاريات الذي يلاحظ أنه صنع من طينة نقية خالية من الشوائب وأستخدم دولاب الفخار في صناعتها ، وعرّض الى درجات حرارة عالية عند شيّه فأكسبه ذلك لوناً رمادياً . ولكن اللون الغالب على فخاريات أم النار يميل الى الأحمرار ، كما يلاحظ طلاء رمادي على بعضها الآخر . وإن معظم الأواني صغيرة الحجم وهذا يتناسب مع وظيفتها الرمزية كأوان مدفنية ، لها جدران رقيقة ورقبة قصيرة تميل حافتها قليلاً أو كثيراً الى الخارج . وقد صنعت جرار كبيرة الحجم من طينة محلية كثيرة الرمل .

إن معظم فخاريات أم النار تحمل أشكالاً زخرفية بالألوان ، وتتركز الموضوعات الزخرفية في الأقسام العلوية



شكل « ٣ »
مقطع طولي لقبر من حفيت يبين كيفية انحاء الجدران الخارجيّة صوب الداخل لتقليل مسافة فراغ سطح الغرفة الداخلية لتسهيل عملية التسقيف
عن : Karen Frifelt نفس المصدر ص ٦٢

من بدن الأناء ، لكن نماذج أخرى من الأواني تغطيها الزخرفة من الرقبة حتى حدود القاعدة .

إن بعض الزخارف عبارة عن حزوز على سطح الأناء ، وبعضها الآخر قوامه خطوط مائلة وبه دوائر ومثلثات وخطوط متوازية ، تتكرر في حقول أفقية حددت بخطوط تدور حول جسم الأناء .

وتحمل بعض الأواني صور حيوانات بالأضافة الى الزخارف الهندسية ، وعندها تتكرر صورة الثور الأحدب من إنائين .

ان أشكال فخار أم النار ، بالأضافة الى موضوعاتها الزخرفية وبخاصة صورة الثور الأحدب ، يقيم صلة بينها وبين فخار ثقافة كولي جنوب بلوجستان الذي يرجع زمن إنتشاره الى الألف الثالثة ق .م .

إن أهمية مقابر أم النار ، والمستوطن الذي عثر عليه قريباً منها على جانب هضبة الجزيرة ، لايبرزان من خلال إتصالها الحضاري مع مراكز حضارة وادي السند القديمة فحسب ، بل ان أعمال التنقيبات الواسعة التي شملت مناطق مختلفة من عمان وأطراف منطقة العين ، أثبتت أن جزيرة أم النار عبارة عن مستوطن متقدم ضمن منطقة حضارية واسعة مارست نشاطات تجارية وصلت عبر الخليج العربي شمالاً الى مراكز حضارة بلاد وادي الرافدين .

مقابر هيلي :

ونبدأ بمقابر هيلي بعد مقابر أم النار مباشرة لا لكونها أقرب مسافة الى أم النار فحسب ، وانما لكونها أيضاً تشكل مع أم النار نمطاً معمارياً وثقافياً واحداً ، سنتعرف على إمتداده وصلاته في مستقبل حديثنا عن المقابر الدائرية المماثلة .

نقبت في مقابر هيلي بعثة تابعة لادارة الآثار والسياحة بدولة الأمارات العربية المتحدة ، وشمل عملها ستة من مقابر هيلي .

تقع قرية هيلي على مسافة عشرة كم شمال مدينة العين ، وتقع هيلي والعين وغيرهما من القرى على الحافات الغربية لسلسلة جبال عمان ضمن منطقة واحة البريمي .

إن عامة القبور في منطقة هيلي دائرية الشكل ، شيد معظمها بحجر رملي مهندم ، تشبه في شكلها الخارجي ومخططها الداخلي مقابر أم النار .

ويقسم المحيط الداخلي للقبر بواسطة جدارين مستقيمين يحصران بينها فسحة مستطيلة قطعت بجدار يتعامد على الجدارين الوسطيين بحيث فصلت الفسحة المستطيلة الداخلية الى قسمين .

والمدفن المعلم بحرف ـ C ـ في هيلي يعطينا صورة متطابقة الى حد كبير لمقابر أم النار .

فالجدار الخارجي مزدوج ، وجهه الخارجي من حجر مصقول محدب قليلاً ليناسب الشكل الدائري للقبر ، يستند على قطع حجرية صقيلة الوجه تشكل قاعدة يستند اليها الجدار . ويقسم المحيط الداخلي بواسطة جدران مستقيمة متعامدة مع بعضها ، بحيث تحول داخل البناء الى ستة عنابر للدفن[٣٢]

إن أهم قبور هيلي هو القبر المدعو بقبر هيلي الكبير . وهو دائري الشكل يزيد قطره عن (١١) م وإرتفاعه (٣,٨٥) م . يقسم القبر من الداخل الى قسمين بحيث تتشكل في داخل المقبرة أربع حجرات للدفن .

شيد الجدار الخارجي لقبر هيلي الكبير من ثلاثة صفوف من الحجر ، حيث يبلغ إرتفاع الصف الأولى (١,٥)م عدا حجارتي المدخلين ، حيث يبلغ إرتفاع كل منها (٢٨ر٣)م و (٢,٨٠)م ، ويتراوح إرتفاع حجارات الصف الثاني مابين (٩٠ ـ ١٢٠ سم) ، ويبلغ إرتفاع حجارات الصف الثالث مابين (٤٠ ـ ٦٠ سم) ، وهكذا يقل حجم القطع الحجرية في الصفوف العالية لتخفيف الوزن وسهولة النقل أثناء التشييد الى مكانها في المستويات العالية من الجدران .

إن قبر هيلي الكبير في هندسته ومعماره وحجمه يعد من أهم المقابر الحجرية التي وصلتنا من مناطق الخليج العربي لحد الآن . حيث يبلغ وزن بعض قطع الحجارة ، المستخدمة في البناء حوالي (٥) طن ، فيبلغ طولها قرابة ثلاثة أمتار ، وإرتفاعها يصل الى حدود مترين . كما نحتت في بعضها فتحات دائرية بقطر (٢٥ ـ ٣٠) سم لغرض الأضاءة والتهوية . أماحجارتا المدخلين الكبيرتين ، فقد نحتت في نصفها السفلي فتحات على شكل مثلث طول قاعدته (٦٨) سم و (٧١) سم وقمته منحنية ، وتعلو الفتحة عن مستوى سطح الأرض مسافة (٩٢) سم .

وقد نحتت فوق الفتحات بعض الرسوم البارزة منها

مشهد يمثل رجلاً يمتطي ظهر حيوان قد يكون حماراً ، يسير خلفه رجل يحمل بيده اليمنى ما يشبه العصا أو سيف ، ويعلق على كتفه الأيسر ما يشبه القوس .

وفي الجانب العلوي الى يمين فتحة المدخل ، يرى مشهد يمثل شخصين في حالة عناق جنسية . ونحتت في أسفل فتحة المدخل صورة حيوانين متقابلين ، يمثلان في الغالب أسدين ، نحت فيما بينهما صورة ماعز جبلي .

وزيّن أعلى المدخل الثاني أيضاً بصورة ماعزين متقابلين ، نحتت فيما بينهما صورة رجلين واقفين يمسك أحدهما بيد الآخر[٣٣] وقد أثار شكل وعمارة هذا القبر وكثرة الأشكال الفنية المنحوتة على جانبي المدخلين ، شكاً في أحتمال كونه معبداً ، بخاصة وأنه كان خالياً من بقايا العظام التي يحتمل أنها تبعثرت بسبب تعرض المدفن الى أعمال سرقة سابقة كغيره من المدافن .

إن المواد الأثرية من هياكل عظمية وفخاريات وغيرها قليل في قبور هيلي ، ولكن المهم في هذا العدد القليل من الفخار أو كسره ، تشابهه القوي من حيث الشكل والألوان والزخارف بفخاريات أم النار . وبذلك يصبح طراز بناء المقابر وتشابه مواد الدفن يؤكدان توسع دائرة ثقافية متميزة نصطلح عليها بثقافة أم النار ، لها صلات حضارية واسعة مع مراكز حضارية وادي السند القديمة ، ولكن خيوط الصلة بمراكز الحضارة العراقية القديمة ، لاتبدو مقطوعة بسبب من أشكال بعض الأواني الفخارية[٣٤] ، وذلك مايؤكد دور هذه المراكز الحضارية كحلقة وصل في تجارة عالمية واسعة امتدت من شبه القارة الهندية وجنوب إيران مارة بالخليج العربي في طريقها الى بلاد وادي الرافدين[٣٥] .

مدافن بديع بنت سعود :

والى الشمال من هيلي بمسافة ١٢ كم تنتشر مجموعة من المقابر الحجرية يزيد عددها على (٤٠) مدفناً . وقد أستكشفت البعثة الدانمركية لصالح إدارة الآثار في الامارات العربية المتحدة ، مجموعة من هذه القبور تبلغ ستة قبور . كذلك أجرت إدارة الأثار نفسها في السنوات ١٩٧٣ ـ ١٩٧٥ ، تنقيبات شملت عشرة مدافن في نفس المنطقة .

كان من بين المدافن المنقبة التي يغلب عليها الشكل الدائري ، مدفن واحد فقط مستطيل الشكل ، يقسمه جدار وسطي مقطوع عند منتصفه الى أربع حجرات للدفن . وقد بني من حجارة غير مهندمة ، ومواده الأثرية قليلة جداً ، وبخاصة الهياكل العظمية التي كانت تالفة جداً . ولكن أمكن العثور على مجموعة من الأسلحة قوامها أربعة خناجر وحربه واحدة من البرونز ، كما عثر خارج جدران القبر على أنائين برونزيين وفأس يدوي ، ومجموعة من رؤوس السهام البرونزية ، مع مجموعة من الخرز المعمول من الصدف والعقيق . يضاف الى ذلك العثور على كسر لاواني حجرية من الستيتايت . وعلى العموم ، فان المواد الأثرية التي تشبه الصناعة النحاسية أو البرونزية اللورستانية تؤرخ هذا القبر لحدود الألف الأول ق . م .

أما بقية مدافن بديع بنت سعود فأشكالها دائرية تذكرنا بمخططات مقابر هيلي وأم النار ، ولكن يغلب على مواد البناء فيها أستخدام الحجر غير المهندم .

وكشف في نفس المنطقة عن بعض القبور الفردية من نوع الرجم شيدت من حجر غير مهندم ، يحيط بفناء داخلي دائري الشكل تقريباً ، وتبدأ الجدران بالميلان التدريجي صوب الداخل لتقليص مسافة فضاء السقف وتسهيل عملية التسقيف .

إن مقابر بديع بنت سعود المختلفة في تخطيطها مهمة من حيث الأواني الفخارية التي وجدت بداخلها ، حيث تذكرنا باشكال أواني جمدة نصر العراقية التي تؤرخ لنهاية الألف الرابعة ق . م وعموماً فإن قبور بديع بنت سعود تشير في أشكال تخطيطها وموادها الأثرية الى فترات زمنية متفاوتة تنحصر على الأقل ما بين نهاية الألف الرابع والى بداية الألف الأول ق . م .

مدافن جبل حفيت :

يعد جبل حفيت حداً جنوبياً لواحة البريمي ، التي تقع عندها مدينة العين . وتتفرع منه سلسلتان متوازيتان تنتهيان عند مدينة العين ، ويحصران بينهما بعض المرتفعات الجبلية الصغيرة . بنيت على سفوح هاتين السلسلتين مجموعة من المدافن الحجرية يزيد عددها عن مائتين من القبور ، وتمتد بعض المجاميع في سلسلة طويلة تدخل حدود سلطنة عمان .

شمل نشاط البعثة الدانمركية التنقيب في هذه المدافن ،

فحفرت في (٢٧) قبراً تقع جميعها على الحافات التليه لجبل حفيت ، وهي بمجموعها تختلف عن قبور أم النار مثلما تختلف عن قبور البحرين ، فغرفة الدفن تشبه خلية النحل مبنية جدرانها من الحجر المحلي غير المهندم ، يحيطها حجر مكوم بشكل غير منتظم يعطي صورة عامة لتل حجري قائم (رجمه) ولها ممر قصير بشكل المدخل مما يدفعنا للظن بأن القبر الواحد أستخدم للدفن أكثر من مره .

ويرتب الحجر في صفوف تميل تدريجياً الى الداخل ، فيكون سقف حجرة الدفن من الداخل على هيئة قوس مدبب Corbelled ، لذلك فهو يذكرنا بالقبر المفرد في بديع بنت سعود .

أشرنا مراراً الى طريقة تسقيف القبور باعتماد الأقواس المدببة التي تتكون من إدخال رؤوس الكتل الحجرية المستخدمة في البناء نحو الداخل قليلاً لتقليل مسافة فضاء السطح تدريجياً ، وحتى تصل في نهاية الجدران الى حد يسمح بأن تستند على رأسي آخر حجرتين حجرة كبيرة تغطي السقف .

ان هذه الطريقة كما تكشف عنها مقابر الخليج وجنوب الجزيرة العربية تعد من طرق التسقيف الأولى والبسيطة ، وهي تشبع في معظم القبور ومن كل الفترات الزمنية التي تنتسب اليها القبور ، ويعني ذلك أنها تعود للفترة الواقعة ما بين أواخر الألف الرابع ق . م . والى مطلع القرون الميلادية .

إن الأمر الهام بخصوص طريقة التسقيف هذه ، تعرّفنا عليها ولأول مره في القبور الملكية في أور من عصر فجر السلالات ، حيث قدمت لنا بعض القبور أقبية شيدت من الحجارة معتمدةً شكل القوس المدبب على غرار ماأشرنا اليه في وصف العقود المدببة لقبور الخليج العربي [٣٦] فإذا أخذنا بنظر الأعتبار ماقدمته لنا المقابر الملكية من أثار تتمثل في أختام منبسطه دائرية الشكل تميز صناعة الأختام في الخليج العربي وكذلك الكؤوس المصنوعة من قشور بيض النعام ، ومقابل ذلك كشفت لنا حفريات مقابر البحرين عن أختام أسطوانية عراقية الصنع مع بعض اللقى الأثرية ألتي تحاكي أشكالاً فنية عراقية ، يمكننا بعد ذلك كله أن نرجح وجود صلات أعمق بكثير من الصلات التجارية التي تؤكدها الكثير من الأدلة الأثرية ، فلربما تكون هذه الأشارات في التبادل المعماري والفني والفكري بين المركزين دليلاً على وجود تبادل سكاني أو إنتقال سكاني فيما بينهما ، ولكن الأدلة الأثرية المتيسرة لاتسمح بالتفصيل في ذلك في الوقت الحاضر(*) .

نرجع ثانية لأستعراض المواد الأثرية المكتشفة في قبور جبل حفيت ، حيث تغلب عليها الصناعات البرونزية كالسهام والخناجر والسيوف والأواني ، كما كشف عن كسر متفرقة من أواني حجرية من الستينات بين تلك المخلفات[٣٧] .

وتجدر الأشارة الى جهود دائرة الأثار والسياحة في أبو ظبي في مواصلة أعمال التنقيب في مدافن جبل حفيت ، وكان ذلك خلال موسمي ١٩٧٣/ ١٩٧٤ ، حيث تم تنقيب عشرة مدافن بالقرب من حصن مزيد الذي يقع مسافة ٢٥ كم من مدينة العين ، وكان من بين المدافن المنقبة قبر مستطيل الشكل وآخر بيضوي مقسم من الداخل الى ثلاثة أقسام . كذلك كان من أبرز المكتشفات الأثرية في هذه القبور العثور على ختم منبسط مصنوع من الرخام الشمعي (الألباستر) من نوع الأختام الخليجية الدائرية المنبسطة[٣٨] .

كانت تنقيبات البعثة الدانمركية وكذلك دائرة الآثار في أبو ظبي تقف عند الحدود السياسية الفاصلة بين دولة الأمارات العربية وسلطنة مسقط وعمان ، على الرغم من أن ملامح القبور الحجرية كانت واضحة المعالم أمام أنظار المنقبين وراء خط الحدود السياسية . ولكن مع مطلع السبعينات من هذا القرن شهدت مناطق مختلفة من عمان أعمال تنقيبات وأستكشافات مما أتاحت الفرصة أمام الباحثين لتتبع مجموعات قبور حفيت .

ان واحداً من قبور حفيت الذي تم تنقيبه مؤخراً ، يرتفع قليلاً عن (٢ م) ، دائري الشكل ، طول قطره حوالي (٧ م) ، وسمك جدرانه تزيد عن (٢ م) . يضم في داخله غرفة لا يزيد قطرها عن (٢ م) ، والبناء جميعه من حجارة غير مهندمة كبيرة الحجم تصل أبعاد القطعة الواحدة الى حدود (٦٠ - ٧٠ × ٢٠ - ٣٠ سم) في الصفوف السفلية من البناء .

---

* Edith porada, "summaries of two papers" Artibus Asiea, XXXIII. 4, p.294 ff.

ويأخذ الجدار بالميل نحو الداخل ، فتتقارب الجدران عند حدود سقف الغرفة فتترك فراغاً ضيقاً عند السقف بحيث يمكن عن طريق وضع قطعة حجرية كبيرة تغطية الفراغ وبناء السقف (الشكل رقم ـ ٣ ـ)

ولهذا القبر كما لغيره من القبور مدخل يقع في الناحية الجنوبية ، ولبعض المداخل ممرات ، يبلغ طول الممر في القبر الذي نصفه (٢,٣٠ م) وإرتفاعه (١٠٥ سم) من الداخل ، وكذلك بلطت أرضية المدفن .

إن مواد الدفن من مجموعة القبور للجانب الشرقي لجبل حفيت تتشابه كثيراً مع موجودات قبور منطقة العين ، فالفخار مصنوع بعجلة الفخار ، ولا يزال بعضه يحمل ملامح الألوان التي أستخدمت في زخرفة الأوجه الخارجية ، وبخاصة اللون الأحمر ، وتذكرنا الزخارف بفخار جمدة نصر العراقي من أواخر الألف الرابعة ق . م .

إن دراسة كافة اللقى الأثرية من قبور حفيت والعين ، وكذلك وضعية الدفن ، تشير الى تاريخ معاصر وتأثير مباشر لقبور جمدة نصر العراقية مع فرق ملحوظ وهو أن قبور عمان جماعية أو عائلية بينما تتميز قبور جمدة نصر بكونها فردية .[٣٩]

إن مناطق انتشار المدافن في الخليج العربي ، وبعض المخلفات الأثرية المتفرقة التي عثر عليها بداخل هذه المدافن ، كانت جميعها تشير في بداية الأمر الى خط سير حضاري يربط مراكز الخليج العربي ببعضها من شماله الغربي والى جنوبه الشرقي من جانب ، ومع كل من مراكز الحضارات القديمة في بلاد الرافدين ووادي السند وجنوب إيران وبلوجستان من جانب آخر إن الصلة الحضارية بين مراكز الخليج العربي وبين العربية الجنوبية كانت مرجحة بقوة ، بخاصة وأن بعض كتابات المسند عثر عليها في أقسام من الخليج العربي ، ولكن آفاق تلك الأتصالات الحضارية للفترات الزمنية التي تسبق عهد الخط المسند كانت غامضة بسبب غياب أعمال التنقيب في منطقة تعد حلقة الوصل الرئيسية بين العربية الجنوبية وبين الخليج العربي ، وهذه المنطقة هي على وجه التحديد بلاد حضرموت وعمان .

إن جهود المنقبين في السنوات الأربع الأخيرة ألقت مزيداً من الأضواء على كثير من الأستفسارات ومشاكل البحث التي كانت تعترض سبيل دراسة تاريخ الخليج العربي في عصوره القديمة ، وبشكل خاص في صلاته بالعربية الجنوبية . وعلى الرغم من أن هذه الدراسات هي في بدايتها ، لكن نتائجها المثيرة والمهمة تجعلنا نتوقع أنها لو أستمرت ستزيد من معلوماتنا ، لا عن تاريخ وحضارة الخليج العربي فحسب بل ستلقي أضواء جديدة على مجمل تاريخ العرب القديم .

ومن الأمور العلمية التي حسمتها هذه الدراسات الحديثة ما يتعلق بموقع بلاد مكان . فقد كانت بلاد مكان التي تشير اليها المصادر المسمارية وتعينها بموقع جغرافي جنوب دلمون عبر الخليج العربي ، وأنها كانت مصدر النحاس الذي أستورده العراقيون القدامى ، كانت مكان من المشاكل التي تعترض سبيل الباحثين ، وبشكل خاص تحديد موقعها الجغرافي على خارطة الجزيرة العربية ، وكان الترجيح يتجه صوب بلاد عمان على أنها مكان القديمة ، وذلك لأن الدراسات الجيولوجية تشير الى وجود النحاس في جبالها بكميات وافرة .

ولكن الدراسة التي نفذتها بعثة جامعة هارفرد للتنقيب في مجموعة من المواقع الأثرية في منطقة الباطنة ، وهي أطراف الجبال والوديان المحصورة بين جبال عمان وبين خليج عمان ، أثبتت بشكل واضح وبالأستناد الى دراسة الفخار المتجمع لدى البعثة ، بأن هذه المستوطنات تغطي الفترة الزمنية للألف الثالث ق . م . جميعه ، أو بالمصطلحات العراقية للفترات الزمنية ، من أواخر عصر جمدة نصر والى عهد سلالة أور الثالثة ، كما تأكدت من كون أبرز جانب لنشاطهم الأقتصادي يتمثل في عمليات صهر النحاس[٤٠] .

والأهم من ذلك ، ما قدمته دراسة أخرى كان من بين ما أشارت اليه هو أن تركيب العناصر الكيماوية لنحاس عمان يشابه العناصر لبعض الالات النحاسية التي عثر عليها في قبور أم النار[٤١].

ان هذه النتيجة التي كشفت عنها التحليلات المختبرية لنحاس عمان والمواد النحاسية من أم النار تشير أولاً الى الترابط الحضاري الوثيق بين جزيرة أم النار وبين داخلية بلاد عمان ، لذلك فهي تبيح لنا بالتالي حق التفتيش عن عناصر حضارية مشتركة أملتها ضرورة المصالح الأقتصادية المشتركة بين الطرفين ، وعليه ، سنرجع في حديثنا ثانية الى المدافن الدائرية لنجد لها ظلالا كثيفة في مناطق مختلفة من بلاد عمان .

وقبل أن نستعرض مدافن قرية «بات» التي تقع مسافة (٢٥ كم) شرق مدينة إبري ، نود أن نبين بأن مدينة إبري تعد مركزاً أدارياً وتجارياً في نهاية المناطق الخصبة شمال غرب جبال عمان قبل أن تلامس أرض عمان صحراء الربع الخالي ، والمدينة محاطة بمجموعة من القرى الزراعية وحقول النخيل الواسعة ، وتسقى المدينة ومجموعة القرى المحيطة بها بنظام إروائي يعرف في عمان بنظام الأفلاج على غرار طريقة السقي في واحة البريمي[٤٢].

وتتوسط مدينة أبري المسافة بين البريمي التي تقع مسافة ١٣٠ كم شمال غربها وبين أراضي النجور في ظفار وحضرموت جنوبها ، وترتبط أبري بالمدن الساحلية على خليج عمان بطريق عبر الجبال . لذلك فمدينة إبري مثل واحة البريمي ، محطة طبيعية على الطريق الرئيسية القادمة من العربية الجنوبية . وهكذا فليس غريباً أن تصادف مجاميع من المدافن الدائرية المشيدة على غرار مدافن أم النار على أمتداد هذا الطريق ، وأن يعيّن تشابهاً كبيراً في مواد الدفن بين قبور قرية «بات» وقبور كل من أم النار وحفيت .

على مسافة ٢٥ كم شرق مدينة ابري ، تقع قرية «بات» وفيها بقايا مقبرة كبيرة تمتد مسافة ٨٠٠ م شمال جنوب و١٢٠٠ م شرق غرب ، يتناثر خلالها حوالي ـ ١٠٠ ـ قبر دائري ، يتراوح قطر معظمها ما بين (٥ ـ ١٠ م) . إن بعض قبور الأجزاء الشمالية من المقبرة بحالة جيدة ، وبقيت بارتفاعها الأصلي الذي يصل الى حدود (٣ ـ ٤ م) وقطر يتراوح ما بين (٧ ـ ٨ م) ولها جميعاً جدران داخلية فاصلة .

شيدت هذه المقابر العائلية أو الجماعية من حجر اللايمستون الرمادي الغامق الذي ينتشر في المنطقة المجاورة ، وكتل الحجر في بعض المقابر مهندمة ومصقولة بشكل جيد مع ملاحظة التحدب في الوجهة الخارجي للحجرة ليساعد على بناء الشكل الدائري كما في قبور هيلي . ويستند جدار القبر الخارجي على قاعدة منخفضة عرضها نصف متر يدور مع محيط الجدار الخارجي .

إن مداخل المقابر مثلثة الشكل وتقع على الجهة الغربية أو الجنوبية وينفذ منها الى الممر الداخلي . ان أرضية الممر الوسطى وغرف الدفن مبلطة بقطع الحجارة الكبيرة . إن الجدران الفاصلة الداخلية التي تشكل عنابر الدفن تكون ضرورية أيضاً لتشييد السقف العام للمقبرة الذي هو في واقعه مجموعة سقوف العنابر أو غرف الدفن داخل المقبرة ، لذلك فالجدران الفاصلة تقسم المساحة الداخلية للمقبرة الى عدة أقسام حسب حجم المقبرة الكلي ، وذلك على غرار تخطيط مقابر أم النار . (أنظر الشكل رقم ـ ٢ ـ)[٤٣]

إن قبور قرية «بات» ليست نهاية المطاف في إنتشار عمارة مدافن أم النار في بلاد عمان ، حيث تشير دراسة أستكشافية نفذتها بعثة بريطانية في المنطقة المحصورة ما بين حافات وادي اليمن وبين الجبل الأخضر ، وعند قرية أملح ، وهي المنطقة التي تنتصف المسافة بين إبري وبين نزوه اللتان تقعان في الأطراف الشمالية الغربية لسفوح جبال عمان . تشير الدراسة بأن بلاد عمان مليئة بانواع المقابر المختلفة الأشكال منها المقببة والأرضية ، كما كشفت عن مقابر واسعة شبيهة بمقبرة «بات» في أملح ، وكان من بينها قبر دائري بقطر (٨,٥ م) على غرار عمارة مدافن أم النار[٤٤] ، لذلك فالمؤمل أن تكتشف مستقبلا مجموعات أخرى من المدافن الدائرية لتشير علينا بمراكز النشاط البشري القديم أولاً ، ولتكشف عن الصلات الحضارية الواسعة للأقسام الجنوبية الشرقية من الجزيرة العربية .

إن الصورة المستخلصة من انتشار المدافن الدائرية وموادها الأثرية المتشابهة في عمان (نقصد بعمان هنا منطقة جغرافية تشمل سلطنة عمان والأمارات العربية المتحدة) تشير الى طرق القوافل التجارية القديمة التي كانت أحد أسباب الوحدة الحضارية للمنطقة .

فواحة البريمي تشكل نقطة ارتكاز رئيسية على الطريق الذي يربط الساحل الجنوبي للخليج العربي ممثلاً في المحطة البحرية القديمة في أم النار بساحل خليج عمان ، ويتفرع منه طريق صوب إبري ومنها الى العربية الجنوبية والأقسام الداخلية الأخرى لبلاد عمان .

إننا نستند اليوم الى معلومات قوية الدلالة واضحة البيانات في الحديث عن جوانب الوحدة الحضارية للخليج العربي في عصوره القديمة والتي كان للنشاط الأقتصادي الدور البارز في تحقيقها . كما تساعدنا هذه العناصر الحضارية في تشابهها الذي يصل أحياناً الى حدود التطابق في المعطيات ، للقول بوحدة المجتمع القديم في هذا الجزء من أرض العرب القديمة ، غير ناكرين الملامح الخاصة في حركة التطور للمراكز المختلفة .

إن القبور الحجرية الدائرية الشكل تغطي كما تبينا من أستعراضنا السابق معظم أقسام الخليج العربي وتتوغل جنوباً في الأقسام الجنوبية الشرقية للجزيرة العربية .

إن دراسة القبور الخليجية تؤدي بنا الى تقسيمها حسب عمارتها الى ثلاثة أنواع رئيسية : -

١ ـ المدافن الدائرية الجماعية التلّية Tumuli في البحرين .

٢ ـ المدافن الدائرية الجماعية في أم النار وهيلي وبات وأملح في عمان ودولة الأمارات .

٣ـ المدافن الفردية (الرجم) التي تشبه خلايا النحل والتي تنتشر على نطاق واسع في الخليج من قطر شمالاً والى عمان جنوباً ، كما تتوزع في مناطق مختلفة من العربية الجنوبية إن هذا النوع من القبور ذو مخطط دائري الشكل سواء كان في شكله الخارجي أو مخطط غرفة الدفن الداخلية .

٤ ـ المدافن الجماعية المضلّعة التخطيط : إن هذه المدافن على الرغم من محدودية عددها في مناطق الخليج والعربية الجنوبية ، لكنها تعد مرحلة متميزة في بناء القبور ، وبخاصة فيما لو عرفنا طريقة تسقيفها . إن مقبرة البحرين ذات الشكل المضلع ثبت كونها من العصر السلوقي كما أن مقبرة هجر بن حميد في العربية الجنوبية يرجح نسبتها الى عصر مماثل وبالتالي ، يمكن أن يكون هذا الطراز من تخطيط المقابر شاع في الفترات الأخيرة لقرون ما قبل الميلاد بسبب التأثيرات الهلنستيه والفرثية ، وقد تكون هذه المدافن الجماعية أو العائلية لتجمعات تجارية أجنبية عاشت بين مراكز الحضارة القديمة في الخليج والعربية الجنوبية ، بخاصة ونحن عرفنا مكانة هذه المراكز الحضارية في التجارة العالمية القديمة .

إن تواريخ هذه المدافن تختلف من نوع لآخر ، كذلك تختلف في النوع الواحد ، ولكنها عموماً تغطي الفترة الزمنية المحصورة ما بين أواخر الألف الرابع ق . م . والى حدود نهايات الألف الأول ق .م . وهي الفترة التي شهد الخليج العربي فيها نشاطات اقتصادية وتجارية وحضارية نشطة فيما بين مراكزه من جانب ، وبينه وبين مراكز الحضارات المجاورة من جانب أخر . ويؤكد ذلك كافة أشكال الأدلّة المادية التي كشفت عنها أعمال التنقيبات في المواقع المختلفة من الخليج العربي ، كذلك تدعمها إشارات الكتابات المسمارية العراقية القديمة التي برزّت بشكل واضح الجانب الأقتصادي الهام للخليج العربي .

إن الفروقات الواضحة في حجوم وعمارة المدافن من نوع واحد وفي منطقة واحدة ، ربما تشير الى فروقات زمنية فيما بينها ، كذلك يحتمل أنها تشير الى تمايز مراتب أصحابها الأجتماعية ، كأن يكونوا من أصحاب الثروات أو السلطات ، ويكون ذلك مبرراً للافتراض بوجود زعامات دينية أو سياسية أو اجتماعية الذي سيعكس نوعاً من التنظيم الأجتماعي أو السياسي لمجتمع الخليج العربي القديم .

ولكن هذه الأستنتاجات ستنتظر مزيداً من أعمال التحري والتنقيب في آثار الخليج العربي لأكمال صورة الحياة القديمة في أقسامه المختلفة .

وأخيراً ، يتضح لنا من خلال ما قدمناه عن المقابر ، كيف أنها من خلال عمارتها أو تخطيطها أو موادها المدفنية ، ترسم صورة العناصر المشتركة لحضارة وحياة أصحابها ، وما تعكسه من واقع اقتصادي وجانب ديني وصلات خارجية ، ولكن على الرغم مما تساعدنا به دراسة المدافن في تتبع جوانب من تاريخ وحضارة الخليج العربي في عصوره القديمة ، فأننا نرى في النقطتين التاليتين نقصاً واضحاً في مجمل الدراسة يجب أن يتم تلافيه :

١ ـ إن أعمال أستكشافات المقابر وتنقيباتها لا تزال في مراحلها الأولى ، وبالتالي فان هذه الأعمال بحاجة الى توسع كبير لتكتمل جوانب الصورة التي يمكن أن تعكسها مدافن شعب الخليج العربي القديم . وان هذه المهمة العلمية يجب أن تتحمل مسؤوليتها كافة المراكز العلمية وبشكل خاص في أقطار الوطن العربي .

٢ ـ إن النقطة الثانية تلتصق بالأولى ، حيث نجد أن أعمال التنقيب لا تزال مختصرة وتقتصر على مناطق محدودة من الخليج العربي ، بينما تشير أعمال الأستكشافات والصور الجوية الى أعداد هائلة من بقايا المدن والابنية الأثرية . هذا بالأضافة الى أن بعض المواقع التي شهدت أعمال تنقيب سابقة لم تستكمل أبعادها بعد . كل ذلك يعكس ضرورة بذل الأهتمام اللازم لأعمال تنقيبية واسعة في الخليج العربي لعلّها توصلنا الى رسم حركة التاريخ والحضارة في هذا الجزء الهام من العالم القديم .

الهوامش ٢٢

١ - ترجع بداية النشاطات الآثارية في مصر لبعثة تنقيبات فرنسية رافقت الجيش الفرنسي في حملته على مصر على عهد نابليون الأول (١٧٩٨ - ١٧٩٩) .

٢ - تبدأ النشاطات الآثارية في العراق للجهود التي بذلها قناصل الدول الأجنبية في العراق ، والتي شملت باديء الأمر عواصم الآشوريين ، منها نشاط القنصل الفرنسي في الموصل المدعو «بوتا» عام ١٨٤٢ ، والبريطاني لايرد ١٨٤٥ : (أنظر في موضوع التنقيبات ومحاولات حل رموز الخط المسماري المصدر الآتي :
S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1963, p. 3ff.

٣ - ترجع أعمال الأستكشافات الأثرية في العربية الجنوبية للقرن الثامن عشر ، ولكن أعمال التنقيبات الفعلية تبدأ بمطلع عام ١٩٢٨ : أنظر بخصوص ذلك :
(Gus Van Beek: "South Arabian History and Archaeology" in The Bible and the Ancient Near east. Edited by G. Ernest Wright London 1961, P. 229ff)

٤ - رضا الهاشمي : «جوانب من تاريخ الخليج العربي القديم في ضوء المصادر القديمة» المجلة التاريخية العدد الرابع/١٩٧٥ ص ٣٣ - ٧٩ .

٥ - Kuml. (Yearbook of the Jutland Archaeological Socirty, Aarhus, Denmark).

٦ - ibid; G. Bibby: Looking for Dilmum, Newyork, 1969.

٧ - "Some Results of the Third International Conference on Asian Archaeology in Bahrain, March 1970" in Artibus Asiae, XXXIII4, P. 291 ff.

٨ - رضا جواد الهاشمي : المصدر السابق .

٩ - A. Wilson: The Persian Gulf, London 1928.

١٠ - G. Bibby: Looking for Dilmum,

١١ - رضا الهاشمي : المصدر السابق ص ٥٠ .

١٢ - رضا الهاشمي : «صلات الخليج العربي التجارية بالعراق القديم» مجلة كلية الآداب جامعة البصرة العدد ١٩٧٢/٧ .

١٣ - Bibby: op. cit. p. 44-45

١٤ - رضا الهاشمي : «جوانب من تاريخ الخليج العربي» المصدر السابق .

١٥ - رضا الهاشمي : «البحث عن دلمون» مجلة كلية الآداب ١٩٧٢/١٩ .
G. Bibby: op. cit

١٦ - آثار البحرين : دليل عن مناطق البحرين الأثرية ، أعدته جمعية البحرين للآثار بالتعاون مع قسم الآثار بدائرة التربية والتعليم لحكومة البحرين . نيسان ١٩٧١ ص ١٤

١٧ - Bibby: op. cit. p. 74.

١٨ - الدليل ، ص ٦ .

١٩ - كذلك الدليل ص ٣ Bibby: op. cit. p. 78.

٢٠ - Richard Le Baron Bowen and F. P. Albright: Archaeological Discoveries in South Arbia, (Baltimore, 1958) p. 8 ff.

٢١ - Bibby: op. cit. P. 163-65.

٢٢ - الدليل: المصدر السابق ص ١٤

٢٣ - Bibby: op. cit. p. 395

٢٤ - Holger Kapel: Atlas of the stone-Age Culture of Qatar. (Aarhus 1968).

٢٥ - تقرير البعثة الآثارية الفرنسية الى قطر لسنة ١٩٧٦ (الموسم الأول) المركز الوطني للبحث العلمي ر . ث . ب ٣٦٢ باريس . وزارة الأعلام - الدوحة

٢٦ - Bibby: op. cit. p. 135-36, 183.

٢٧ - الرُّجَمُ والرِّجام : الحجارة المجموعة على القبور واحدتها رُجمة
الرُّجمُ والرُّجمَة : الحجارة تنصب على القبر
الرُّجمة هي القبر والجمع رِجام (إبن منظور - لسان العرب ، مادة رجم)

٢٨ -
- R.leB.Bwen: Burial Manuments of south AArabia in Archaealogical Discovesies in south Asalina, pp. 133-136.

٢٩ -
ibid. 136.

٣٠ -
-karen frifelt: «Apossible link between the Jemdet.Nasr and the- um- An-Nar Graves of Oman in The Journal of Oman studies, Vol. I 1975, p.57ff.

٣١ -
Kuml, 1962, p. 190. ff.

٣٢ - الأثار في دولة الأمارات العربية المتحدة : وزارة الأعلام والثقافة إعداد إدارة الأثار والسياحة ص ٢٩ -٣٧

٣٣ - نفس المصدر ص٧٧ -٧٨

٣٤ -
Karen Fri felt: Kuml, 1970, p. 375

٣٥ - الآثار ، المصدر السابق ص ٤٢ - ٤٤

٣٦ -
- H. Frankfort: The Art and Architecture of the Ancient Orient.p. 20 ff.; fig. 11.

٣٧ - Kuml, 1970, p. 377.

٣٨ - من خلال التنقيبات في البحرين ومناطق أخرى من الخليج العربي ، تم أكتشاف مجموعة من الاختام ، منها الأسطوانية وأخرى منبسطة وقد صادفت هذه الاختام دراسات مقارنة ، فتم التأكد أن مجموعة الأختام الأسطوانية هي عراقية الصنع إن لم تكن أساساً لتجار أو وكلائهم من العراقيين المقيمين في البحرين (دلمون) بخاصة وأن بعض هذه الأختام كانت تحمل أسماء أصحابها بالخط المسماري . ويكثر وجود الأختام الأسطوانية في فيلكه والبحرين . أما الأختام المنبسطة ، فعثر على نوعين منها ، أحدهما منبسط مضلع الشكل الخارجي والآخر منبسط دائري ، كما لوحظ وجود علامات الكتابة الأندوسية القديمة التي لا يزال أمر قراءتها متعذراً على الباحثين ، على اللأختام المنبسطة المضلعة ، ويشيع هذا النوع من الأختام في مراكز الحضارة الهندية القديمة ، لذلك أعتبرت هذه الأختام في الخليج جاءته من مراكز الحضارة الهندية التي ترتبط بمراكز الخليج بعمليات تجارية واسعة .

أما النوع الثاني من الأختام المنبسطة ، فدائري الشكل ، ويخلو من أية علامات مسمارية أو أندوسية . وإعتماداً على صور الأشكال المرسومة عليها ، فالمعتقد أن هذا النوع من الأختام يمثل صناعة محلية أصطلح على تسميتها بالأختام الدلمونية نسبة الى بلاد دلمون القديمة (البحرين) ، ولكن مع ذلك . يبقى موضوع الأختام بأنواعها الثلاثة المختلفة يعزز بقوة أهمية ومكانة الخليج العربي في التجارة العالمية القديمة .

(راجع : Edith porada: Remarks on Seals Found in the Gulf Artibus Asiea, XXXIII. 4; p. 331 ff.

39- Karen Frifelt: "Apossible link..." op. cit, p. 59-67.

Kuml. 1970, p. 378

40- A. Hastings, G. H. Humphries and R. H. Meadow:

"Oman in the third Millennium B. C." in the journal of Oman Studies. vol I. p. , ff.

41 - M . Tosi : Distrbution and Exploitation of Natural Resourses in Amcient Oman" in the G?urnal of Oman Studies, vol I. p. 187ff.

٤٢ ـ نظام الأفلاج الأرواني نظام يشيع في كثير من بلاد العرب خاصة والعالم قاطبة ، ويعرف باسم الكهاريز في العراق وباسم القناة في إيران وباسم الفجارة في شمال أفريقيا ، وينفذ عادة في أطراف المناطق الجبلية أو الأراضي المنحدرة منها ، ويعتمد هذا النظام الأرواني أسلوباً هندسياً دقيقاً ويتطلب أمر إنشائه جهوداً فنية وبنائية معقدة . والمبدأ في هذا النظام هو حفر بئر صوب طبقة المياه الجوفية في أرض منحدرة وقد تكون في أطراف الجبال ، وبعد الحصول على الماء ، يعمد ببناء قناة أفقية تسير في باطن الأرض تأخذ مياهها من البئر الرئيسية وتسير بها منحدرة إنحداراً تدريجيا محسوباً بدقة حتى وصولها الى المناطق السكنية والزراعية ، حيث تصل القناة الأفقية التي كانت تسير تحت الأرض مستوى سطح الأرض ، فيسيل الماء منها صوب الأغراض التي يريدها أصحاب الأفلاج . (كتبت مقالة تفصيلية في هذا الموضوع وزودتها بمخططات ، ناقشت فيها أصول هندسة الأفلاج ، أنظر رضا الهاشمي : الأفلاج . مجلة كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٧٩/٢٥ .

43 æ Karen Frifelt: "A possible Link Between the Gemdet-Nasr and tge Umm An- Nar Graves of Omam "in the Goumal of Oman Studies, Vol. I, 1975, P.57 ff.

44- B. de Cardi: "Survey and Excavatigns in Central Oman" in the journal of Oman Studies, vol . I, p . 109-111